

٥١٨



الطبعة الخامسة

قلوب هارلquin



HARLEQUIN



www.elromancia.com

مرمية مورية

أغنية الفجر

سارة كريفن

أغنية الفجر

سارة كريفن

«إنك تخفيين شيئاً في أعماقك، يا
مارغريت.»

لو أن جيروم مونتكورت يدرك مدى
خداعها! فهو لا يعلم شيئاً... حتى الاسم
الذي ذكرته له، لم يكن اسمها. ولكن ميغ
وجدت أن ذلك الرجل الفرنسي الجذاب
كانت له أسراره هو أيضاً... ليس أقلها
ماهية شعوره الحقيقي نحوها.

«ليس من الحكمة دوماً، يا
آنسة، أن تجازف».

كان في صوته نبرة غريبة. كانت أشبه
بالتحذير الذي يقرب من الوعيد. وشعرت ميع
بقطعاً تسرى في جسدها. أم لعلها مجرد
تصورات من أثر الصدمة التي انتابتها؟
ورأت ابتسامته تتلألأ قليلاً بطريقة تهكمية
وكأنه أدرك ما تفكر فيه.

الكتاب

khouloub Abir 518

أغنية الفجر

سارة كري芬



دار
مؤسسة النهار
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

سارة كريفن

ولدت سارة كريفن في ساوث ديفون ونشأت محاطة بالكتب، في منزل قريب من البحر. وبعد أن تركت مدرسة القواعد، عملت صحافية محلية، تغطي كل الأخبار الاجتماعية في ما يتعلق بمعارض الزهور، إلى الجرائم. وقد ابتدأت بالكتابة لمؤسسة ميلز انด بون في سنة ١٩٧٥. عدا عن الكتابة، فهي تهوى الأفلام والموسيقى والطبخ وتناول الطعام في المطاعم الفاخرة. وهي الآن تعيش في سومرست مع زوجها الثاني، وهو رياضي دولي سابق في لعبة الرغبي. وكلبي صيد. عندها ولدان وثلاثة أولاد لزوجها.

الفصل الأول

«إنه حل مناسب تماماً. يمكنك أن تذهبني لتأخذني مكانني».

ولكن قول مارغوت ترانت المرح هذا، قوبل بصمت عميق. وتمتنع ميغ لأنفتشري: «دعيني أستوضح الأمر تماماً. إنك تريدين مني أن أسافر إلى جنوب فرنسا، في الشهر القادم، وأمكث مع خالتك في قصرها، منتحلة شخصيتك». وسكتت وهي تلقى على اختها غير الشقيقة نظرة طويلة متأملة، لتباع بعدها قائلة: «هل هذه هي العناصر الأساسية في التمثيلية؟»

سألتها مارغوت: «وما الخطأ في هذا؟ إن تلك العجوز تريد من يمكث معها المدة أربعة أسابيع لكي تتمكن من رافقتها المستعبدة تلك أن تأخذ فرصة ترتاح فيها، فما هي المشكلة في ما لو ادعت فتاة بأنها مارغوت ترانت؟»

فردّت عليها ميغ بسخرية بالغة: «ليس ثمة مشكلة طبعاً. حتى عدم الشبه بيننا، ليس له أهمية على الإطلاق..»

فهزت مارغوت كتفيها قائلة: «إنني شقراء، وأنت سمراء..» وألقت نظرة استخفاف على شعر ميغ البنى المسترسل البسيط الطراز، وهي تتتابع: «وهذا يمكن تعديله بسهولة. أما بالنسبة للأشياء الأخرى، فهي عمياء تقريباً وهذا هو السبب في حاجتها إلى مرافقة دائمة، فهي لن تتمكن من رؤيتك بوضوح..»

تمتت ميغ: «هذه هي نهاية طموحي.»
مالت مارغوت إلى الأمام قائلة بحدة: «هيا يا ميغ، يمكنك
القيام بذلك بكل سهولة، ذلك أنه ليس ثمة وظيفة لك تقلقين
ب شأنها ما دامت المكتبة التي تعملين فيها ستغل أبوابها
في نهاية الأسبوع. يجب أن تدركى هذا.»

قالت ميغ معتبرضة: «ولم لا؟ إن البرلمان يمنع لاعصائه
إجازة في الصيف. من المؤكد أن ستيفن سيعطيك إجازة.»
أجابت مارغوت وقد ظهر على وجهها الجميل انفعال
مفاجئ: «ربما سيفعل إذا أنا طلبت منه ذلك، ولكنه على
وشك أن يطلب الطلاق من زوجته، وأنا لا أريد أن أتركه في
هذا الوقت بالذات.»

تمتت ميغ بجهاء: «لقد فهمت.» ذلك أنه، مهما كان رأيها
في هذا العمل المقيد، فقد كانت اختها بسبيله منذ وجدت
عملاً كسكريرة عند ستيفن كيرتيس عضو البرلمان الشاب
الذي كان مرشحاً لرتبة وزارية في الحكومة المقبلة.

قالت مارغوت باستحياء: «ثم أنه ليس لديه الحق في
استدعائي بهذا الشكل المفاجئ، إنني لم أرها منذ كنت في
التسعة من عمري.»

قالت: «إنني أعجب لعدم سمعي بها حتى الآن.»
هزت مارغوت كتفيها قائلة: «إنها في الواقع، عمة أبي،
وكانت تحبه كثيراً. وقد أطلق على اسمها. وهذا، نحن
الثلاثة، بنفس الاسم. أليس هذا شيئاً جميلاً؟»

أجابت ميغ وهي تهز رأسها: «هذا غريب، ولكنه خارج
عن موضوعنا الآن، ألا يمكنك أن تكتب إلىها لتخبرها
بعد تمكنتك من الذهاب إليها.»

أجابت مارغوت بحدة: «كلا، إن هذا في منتهى الغباء.
ذلك أن ليس لها أولاد ولا أقرباء حسب ما أعرف. وإرث مثل
قصر في لانغيدوك هو شيء لا يمكن الاستهانة به. وهكذا
ترى أن من الضروري أن تكون بجانبها.» ونظرت إلى ميغ
بابتسامة متسللة وهي تستطرد: «أو تقومين أنت بذلك
باسمي.»

غضت ميغ شفتها قائلة: «لا سبيل إلى ذلك. لأننا لن
نستطيع الإفلات من سوء النتيجة، هذا عدا عن الاعتبارات
الأخلاقية.»

أجابت مارغوت: «ليس ثمة ضرر في ذلك. الأمر هو أن
مارغوت قرأت قد استدعيت. ومن المفترض أن هذه ستصل
في الوقت المناسب. وأنت مناسبة، أكثر مني للعناية بعجز
كثيرة. اجعليها راضية لأجل، وساكون شاكراً لك إلى
الأبد.»

قالت ميغ وهي تدفع شعرها إلى الخلف: «أهذا إذن، هو
الحافز الذي يدفعني للقبول؟ إنك حقاً، عديمة التفكير يا
مارغوت. وعليك أن تقومي بعملك القدر هذا بنفسك.»

قالت مارغوت وهي تنظر إلى أظفارها: «هل أنت ذاهبة؟
كنت أظن أن المكتبة تغلق أبوابها أيام الأربعاء.»

أجابت ميغ: «هذا صحيح. وأنا أمضي هذا النهار مع
مربيتي تيرتر كالعادة.»

قالت مارغوت: «طبعاً في كوخها الجميل، أم على أن
أقول كوخنا؟»

ضاقت عيناً ميغ لتقول بعد برهة: «إن كوخ بريدونس هو
لإقامة المربيبة طوال حياتها. لقد أوضحت أبي ذلك قبل موته.»

قالت مارغوت: «نعم، ولكن لم يقرر ذلك كتابة، يا حبيبتي، وليس هناك وثيقة قانونية بذلك. ومنذ أيام قامت أمي بزيارة خاطفة إليه. ذلك أن أصدقاءها، آل نيسنر، يبحثون عن مكان يمضون فيه عطلة نهاية الأسبوع. ويبدو أن هذا المكان ملائم جدًا.»

حدقت ميغ فيها قائلة: «إتك، طبعاً، غير جادة بذلك. إن المربيبة مولعة جداً بالكوخ.»
أجابت مارغوت بجفاء: «طبعاً لا بد أنها كذلك، فهو مكان مرغوب جداً.»

قالت ميغ: «ولكن، ليس ثمة مكان آخر لتذهب إليه.»
فأجابت مارغوت والحق يكسو ملامحها: «هناك ملجاً العجزة. إن لأمي أصدقاء في جمعية الخدمات الاجتماعية وأنا واثقة من أنهم سيساعدونها في ذلك.»
ارتجمت ميغ وهي تتنفس بصعوبة قائلة: «إن هذا سيقتلها، والإقامة في ملجاً يرعبها، وهي بإمكانها أن تخدم نفسها بنفسها.»

قالت مارغوت ببرود: «إن الأمر، في هذا، بيديك أنت، ذلك أنه إذا قبلت بالذهاب إلى لانغفيروك فساقنع أمي بأن طرد المربيبة من الكوخ سيكون خيانة لذكرى أبيك.»
سألتها ميغ بخيبة أمل: «وهل هذا يغير من الأمر شيئاً؟»
أجابت مارغوت: «بالطبع، فقد كانت مولعة بابيك جداً، رغم أنها لم تكن تحب المربيبة وطريقتها في السيطرة، هذا إلى جانب أن كلمتي الآن مسموعة عندها، فأنا أوجهها أينما وكيفما شئت، ذلك لأنها مستميتة كي يكون لها صهر نائب في البرلمان.»

فكرت ميغ عابسة، إن معنى هذا أن تذهب زوجته كيرين وأولاده إلى الجحيم.

تابعت مارغوت بدهاء: «حتى أن في استطاعتي أن أجعلها تكتب شيئاً باسم المربيبة، هذا إذا ذهبت أنت للمكوث مع خالتى لمدة شهر. إنني بحاجة إلى معونتك، يا ميغ، إذ على أن أبقى هنا لكي استمر بالضغط على ستيفن.»

قالت ميغ ببرود: «إن قمت أنا بهذا الأمر، فلأجل المربيبة وليس لأساعدك في الحصول على هذا الرجل المتزوج.»

تمطرت مارغوت بسرور وهي تقول: «دعني عنك هذا الغرور. فأنت ستذهبين إلى فرنسا لمدة شهر كامل وكل التكاليف مدفوعة. مانا تريدين غير ذلك؟» وابتسمت راضية وهي تتتابع: «كذلك سأعيرك سيارتي لكي تذهبى بها إلى فرنسا. وعليك أن تبدأي بالتمرير على القيادة منذ الآن.»
أطبقت ميغ أسنانها بشدة وهي تقول: «إنني لم أقل بعد إنني ساذهب..»

فارتسمت على شفتي مارغوت ابتسامة الثعلب وهي تقول: «ولتكن ستذهبين، وإنما فإن المربيبة العجوز المسكينة ستصبح دون مأوى، فالخيار في ذلك يعود إليك.»
وبعد ذلك بأسبوعين، كانت ميغ في طريقها مرغمة إلى جنوب فرنسا.

لم تكن تريدين أن ترضخ لهذا، ولكن نظرة منها إلى مربيتها وهي تجول في أنحاء الكوخ سعيدة نشطة، غافلة عما ينتظرونها من أصدقاء السيدة لانغفري، جعلتها تغير رأيها.
والسيدة ايريس لانغفري، نفسها، لم تكن مسرورة بهذه المسماومة، ولكنها قبلت بالأمر مرغمة، هي الأخرى.

في البحث عن النور. إن كل مقاطعات لانغيدوك كانت غنية ومستقلة عن ملك فرنسا الذي كان يكره راي蒙د أوف تولوز أكبر أسياد الجنوب ويحسده على ثرائه وجمال وحضارة حياته في الجنوب، فكان أن فكر في اتخاذ الكاثار ذريعة لغزوه ومحاربته وسلبه أملاكه. ولكنك ستعشقين تلك المنطقة. فهي بلاد شاعرية مليئة بالمتناقضات، فترى فيها الضحكات السعيدة الدافئة إلى جانب الدموع. الحب الصادق إلى جانب الكراهية والحدق الذي لا يعرف التسامح. الشمس اللاهبة والعواصف الثائرة عندما تفلت الطبيعة من عقالها». وابتسم بخبث وهو يرى الخوف يكسو ملامح مبغ واسططرد بعنف: «ربما في إمكان كل هذا أن ينفض عنك قليلاً هذا الجمود الذي يحيط حياتك رغم صغر سنك».

قالت باحتجاج: «ولكنني سعيدة بذلك».

قال: «كلا، إنك راضية فقط... وهذا شيء مختلف تماماً. ولكنني متأكد، يا طفلي، من أنك لن تكوني نفس الفتاة عند عودتك من لانغيدوك». وأطلق ضحكة جافة وهو يتابع: «كلا. ليس نفس الفتاة مطلقاً». وربت على كتفها. «إنني أتفق بأنك لن تعودي إلى مجرد قناعتك تلك في حياتك. وستتمتعين بدفء الجنوب كاملاً».

ولكن ذلك الحر اللاهب، والعرق الذي كان ينضح به جلد مبغ في زحمة السير خارج قطار تولوز، لم يكن لينطبق عليه كلمة، دفع، التي وصف بها مخدومها ذاك، هذه المنطقة الجنوبية. فقد كانت السيارة التي استأجرتها، أشبه بالفرن بينما كانت ماتزال في مستهل رحلتها إلى هاوت أرينياك، فقد وصلت إلى فرنسا مبكرة يومين عن موعدها،

وتنهدت وهي تقول: «إن مارغوت تستحق السعادة. كما أن ستيفن هو رجل رائع بينما زوجته امرأة لا تعرف سوى الخدمة في بيتها. انه بحاجة إلى امرأة تقف بجانبه وتدفعه إلى الأمام في مهنته السياسية هذه». وفكت مبغ متهكمة في أنه لا عجب إذا كانت البلاد في مثل هذا التدهور، إذا كانت نظرة ستيفن إلى مارغوت تحوي هذا الرجاء. أما بالنسبة لأعمال البيت، فليس ثمة من يمكنه القول إنها تصلح لشيء ما عدا غلي الماء على الأرجح.

تلقت من ايريس لانغاري بعض الملابس الجديدة التي أصرت هذه على دفع ثمنها قائلة تسكتها عن الاحتجاج: «من المفترض أنك بمثابة ابنتي ولهذا، فلا يمكنك أن تسافري بمثل هذه الملابس».

ذلك كان لون شعرها الجديد ناجحاً بشكل غير متوقع، فقد أصبح أشقر داكناً. ولم تجد الوقت لكي تبكي على عملها في المكتبة والذي زاولته طيلة الشهانية عشر شهراً الماضية، بعد تقاعد صاحب المكتبة. أو تقلق، أثناء انتظارها أن تمر هذه المغامرة الفرنسية بسلام، ذلك أن مشكلاتها الحالية تكفيها.

ودهشت وهي ترى مخدومها، السيد أوتواي يومي، برأسه وهي تخبره بوجهة سفرها، راضياً وهو يقول: «آه، لانغيدوك أرض أغاني التروبادور الشاعرية، والكاثار». سألته مبغ: «وما الكاثار؟»

لما حاول: «إنها طائفة دينية باقية من العصور الوسطى، وهي تعتقد أن الحياة بأجمعها آثمة، ولا بد من الاستمرار

وذلك لكي تمضي بعض الوقت في التفرج قبل أن تستقر بين آل دي بريسو كمرافقه للسيدة.

كذلك، كانت هذه الفترة تساعدها على تمرير لغتها الفرنسية. فقد كانت متفوقة في هذه اللغة بين تلميذات صفها في المدرسة، كما كانت تحضر دروساً ليلية للتقدم بها. ولكن لم يكن أمامها فرصة لاختبار مهارتها في تلك اللغة، في قصر هاوت أرينبيك، حيث أن السيدة مارغريت دي بريسو قد أبلغت أثناء المراسلة، أن مارغوت لا تتكلم الفرنسية. وعندما احتجت ميعغ على هذا القرار التعسفي بالإدعاء بأنها لا تحسن الفرنسية، قالت لها مارغوت ببساطة: «هذا شيء يفيدك تماماً إذ بإمكانك الادعاء بعدم الفهم إزاء أي سؤال لا يعجبك».

قالت ميعغ بمرارة: «لا أريد الادعاء بأي شيء». فقد كانت تشعر بالذنب إلى درجة باللغة إزاء هذه اللعبة التي تقوم بها. ذلك أنها في سبيلها إلى خداع امرأة مسنة شبه عمياء، وذلك لكي تساعد أختها في العمل على هدم زواج حبيبها، وبالتالي تشريد إمرأة غافلة بريئة مع أولادها. حتى ادراكها بأن هذا العمل سيعود بالفائدة على المربيبة إذ ستستلك الكوخ، هذا الادراك لم يبعث العزاء في نفسها أو يقلل من مبلغ الخسارة التي تنتابها في عملها ذاك.

كانت هذه الأفكار تراودها وهي تنقر بأصابعها على عجلة القيادة في انتظار الضوء الأخضر الذي لم يليث أن ظهر لتابع سيرها. كانت تتقدم بحذر بالغ، أولاً، لكي تعود نفسها على قوانين السير في هذا البلد الغريب. وثانياً لكي تتعود على قيادة هذه السيارة التي وضعت تحت تصرفها.

ولكنها سرعان ما أدركت أنها تسير في طرقاً جيدة أقل زحاماً مما اعتادته في إنكلترا، ليبعث هذا في نفسها الشعور بالارتياح.

كانت السماء زرقاء صافية، ولكنها، وهي تسير نحو الشرق، لم تثبت أن لمحت في الأفق البعيد سحباً تتراكم بصورة تنذر بالخطر. وفي الوقت الذي توقفت فيه لتباطع طعاماً للغداء، كانت تلك السحب قد حجبت السماء. وألقت نظرة قلقة على الجو المدحوم، وهي تقفل راجعة إلى سيارتها تحمل بعض السنديونيات وزجاجتي مياه معدنية.

كانت قد صممت على أن تقوم بنزهة في بقعة هادئة، واختارت، لذلك طريقاً بعيداً عن الشوارع العامة لتتمكن من قيادة السيارة على مهل ولكي تتعرف إلى فرنسا الحقيقية. وبدا لها الآن، وكأنها على وشك أن تتعرف إلى جو فرنسا الحقيقي أيضاً. إذ أنه، مع أن الحرارة كانت ماتزال مرتفعة، فقد كانت السحب تنذر بجو عاصف، ولكن، ما أن ابتدأت قطرات المطر تصفع زجاج السيارة الأمامي، حتى تخلت، مكرهة، عن قرارها في تناول طعامها في الهواء العلوي، لتركز اهتمامها على إيجاد مكان تمضي فيه ليلتها. وقد التقت في آخر مدينة مرت بها، بفتاة رقيقة الشعور أرشدتها إلى فندق صغير يدعى الأوبيرج يقوم في نهاية طريق جورج دي بيردون مشيرة إليه بعلامة على الخارطة التي كانت ميعغ تحملها.

ووجدت نفسها تسير في طريق متعرج تحف به صخور شاهقة. ومالبث الطريق أن أصبح في محاذاة نهر غير عميق

يتدفق فوق الحصى، لتعرف أنها قد وصلت الآن إلى الطريق المقصود الذي يقع الفندق في نهايته. وعندما اشتد هطول المطر، فكرت فزعة، بأن خير البر عاجله، فقد ابتدأ الرعد والبرق الآن، في التناوب. وأطلقت مية بعض الشتائم وهي تدير المساحة على الزجاج أمامها والتي لم تجد لها فائدة ملموسة أمام تدفق المطر الذي كانت الريح تصفع به الزجاج، مما جعلها لا تجرؤ على متابعة القيادة في ذلك الطريق غير المستقيم. وهكذا، اتجهت بالسيارة إلى الجانب الصخري من الطريق حيث أوقفتها هناك محتمية به.

من ذا الذي كان يتوقع مثل هذا التغير السريع في الجو؟ مع أن السيد أوتواي كان قد حذرها من تقلبات الجو السريعة هذه، منها إياها إلى أن أفضل ما في إمكانها أن تفعله في هذه الحال، هو البقاء في السيارة بدلاً من تعريض نفسها إلى صاعقة البرق.

وشعرت فجأة بالبرد، فتناولت سترتها من المقدمة الخلفي تشدها على كتفيها. وألقت نظرة على النهر شعرت بها بقشعريرة باردة. كانت حرارة الجو في انخفاض مطرد. وكانت مياه النهر في ارتفاع حتى أصبحت متداة على ضفتيه.

شعرت، بشيء من الفزع، وبأن هذا المكان غير مناسب للوقوف. ولكن، لا بد لها من البقاء حيث هي إلى أن يخف هطول الأمطار على الأقل. ذلك أن العاصفة قد أصبحت الآن فوقها تماماً، كما كان الرعد والبرق متزامنين معها تقريباً. وشعرت مية وكأنها تحدق في جدار من الماء. ربما كان من

الأفضل لها لو أنها وصلت في نفس يوم الموعد، فتجد من يستقبلها في المطار كما كانت السيدة دي بريسو قد افترحت. إذ أن هذا هو الطريق السوي الذي اعتادت هي أن تتبعه أكثر حياتها.

خاطبت نفسها قائلة، لماذا أنت ضجرة إلى هذا الحد، وأين روح المغامرة فيك؟ وتراجعت السيارة فجأة إثر زوبعة مفاجئة، وارتجلت مية بالرغم عنها، لتصرخ رعباً وهي ترى الباب إلى جانبها يفتح بعنف لتمتلئ السيارة بالهواء البارد الرطب.

وظلت، للوهلة الأولى، بأن هذا من فعل العاصفة لترى شيئاً قاتماً متذمراً بمعطف فضفاض، يقف بالباب يحدق فيها، فانكمشت في مقعدها، وهمت بالصراخ مرة أخرى لو لا أن الرعب قد أخفى صوتها.

وجاءها صوته يقول بهدوء يخفي انفعالاً حاداً: «لعل مجنونة تماماً، هل تريدين أن تموتي؟ هيا ابتعدي بهذه السيارة الآن، في هذه اللحظة.»

لم يكن هذا الذي يتكلم، شيئاً صورته لها العاصفة، ولكنه كان رجلاً غاضباً. وقد تكلم بالفرنسية وأجابته هي بنفس اللغة بصورة آلية، وقد أخذ قلبها يخفق بمزيج من الراحة والحدر، وهي تقول: «وما الذي أعطاك الحق في أن توجه إلى الأوامر؟»

فرد عليها بحدة: «إنه حق شخص يعرف هذه البلاد أكثر منه. ذلك أن الوقوف بالسيارة تحت هذه الصخور الشاهقة في حالة طقس كهذا، ينطوي على خطر شديد أيتها الحمقاء الصغيرة. إذ أنه كثيراً ما تحدث انهيارات أرضية، وفي هذه

الحال تدفنتين أنت و سيارتك، هيا. تحركي بسرعة.»
ومهما كان مقدار الخشونة في حديثه ذاك، إليها، فإنه
كان يبدو منطقياً في حديثه، ويعرف تماماً ما يقول.
وشعرت ميغ بشيء من الضيق، بأن من الأفضل لها أن تمثل
لنصيحته تلك.

سألته بيرود: «وأين تقترح، إذن، أن أوقف السيارة؟»
فرد عليها عابساً: «شمة مكان أكثر أماناً على بعد متر

متر، فاتبعيني وسأريك إياه. هيا بسرعة.»

واختفى بعد أن صفق الباب وراءه، وبعد لحظة رأت ميغ
سيارة قاتمة تتجاوز سيارتها بمسافة قريبة. ادارت مفتاح
المotor، وقد انتابها الفزع، ولكن بدلاً من أن يدور المحرk
كالمعتاد، ساد صمت عميق ينذر بالسوء.

حاولت ميغ مرة ثانية وثالثة وقد أحسست بالذعر ولكن
المotor بقي على عناده.

ومن جانبها جاءها صوت ذلك المتفاح بالمعطف
يسالها: «ماذا حدث؟»

قالت بالإنكليزية بصوت منخفض تبدو الخشونة في
نبراته: «ما الذي تراه أمامك أيها الشرشار، إن محرk السيارة لا
يدور.» وأخذت تفتش في ذاكرتها عن كلمات فرنسية أكثر رقة.
فقال: «إنك إذن انكليزية. كان يجب أن أتكهن بذلك.»
وبدت في لهجته نبرة ازدراء. وتصلب جسد ميغ غيظاً، إنه
إذن، يعرف لغتين. وتوردت وجنتيها وهي تتذكر لهجتها

الفظة التي تشبه لهجة تلميذات المدارس.
وسألها: «ما هي مشكلة السيارة الآن؟ هل من عادتها أن
تسبب لك مضايقات؟»

فأجاب بضجر: «لقد استأجرتها هذا النهار فقط، ولكن، هنا
هذا المحرك يبدو كالموتى. ربما دخلت المياه في المحرك.»
تمتم بكلمات لم تساميغ أن تسمعها، ثم قال بلهجة آمرة:
«أتركها، إذن، هنا، وتعالي معى.»

قالت محتجة: «ولكن لا يمكنني أن أتركها هنا، فهي
ليست ملكي، ثم ابني...» وترددت برهة، ثم تابعت تقول:
«ابني لا أعرف أي نوع من أبناء آدم أنت!»

قال بلهجة لاذعة: «حسناً، أمهلني هنا يا آنسة، فبقاؤك
هنا فيه ما يخيف، أكثر مما لو قبلت ما أقدمه إليك من
مساعدة. والآن، أخرجني من السيارة قبل أن يغرقنا المطر
نحن الاثنين.»

أطاعت ميغ مكرهه وقد جفلت للمطر الذي بلال حذاءها
وجوربها تماماً. وكان الوصول إلى سيارته أشبه ما يكون
بعبور نهر ضحل. لا بد أن يبللها المطر تماماً قبل أن تتجاوز
مسافة مترين فقط. وفكرت باكتئاب في ما عسى أن تكون
ردة الفعل عند السيدة دي بريسو في ما لو وصلت مرافقتها
الجديدة وهي مصابة بالتهاب رئوي.

وسمعت بجانبها آهة تدل على نفاد صبر، لترى نفسها
وقد لفها معه بالمعطف الذي يرتديه، ليقودها بعد ذلك،
وكأنه يحملها حملأاً إلى سيارته، وأفعمت أنفها رائحة عطره
الأخاذة التي تفوح منه.

وعندما دفعها بخشونة إلى المقعد الأمامي في سيارته،
شهقت وهي تقول ساخرة: «شكراً.»
قال وهو يجلس إلى عجلة القيادة: «لنبع من هنا، فهذا
المكان معروف بخطورته.»

وما ان اتم كلامه، حتى سمعت صوتاً أشبه بآلة عميقة تبعتها ضجة غريبة. ادارت برأسها إلى الخلف تنظر إلى حيث كانت واقفة، لترى، غير مصدقة عينيها وقد تملكتها الرعب، شجرة ساقطة من الأعلى وقد اجتثت من جذورها، لتسقطر على سيارتها الرينيو محدثة ضجة مفزعة سرعان ما تبعها سيل من التراب والحجارة إنهال على السيارة ليمرتد بعدها قافزاً إلى الطريق ممثلاً نموذجاً مصغراً للسلسلة من الانفجارات. ووصلت بعض تلك الاحجار إلى السيارة الثانية التي جلسا فيها مصعوقين دون حراك. تبع ذلك صمت عميق حيث أن المطر قد توقف الآن وكأنه قد اكتفى تماماً بما حدث.

الفصل الثاني

كان مراقب ميع هو الذي اخترق هذا الصمت قائلاً بهدوء وهو يهز كتفيه: «هكذا إذن».

تنفست ميع وهي تقول: «شكراً... شكرألك».

وكان الدمار في سيارتها ينحصر اكثره في ناحية السائق. فقد كان السقف المحطم قد التصق بالمقعد كما تهشمت الواجهة الزجاجية بفرع كبير من تلك الشجرة. وفي ذلك المكان بالذات، كانت هي، منذ لحظة واحدة، جالسة شاعرة بالأمان التام. ولو لم يأت هو، في تلك اللحظة، ليرغمها على ترك مكانها ذاك... ولم يستطع عقلها، الذي أذهلتة الصدمة، متابعة التفكير في ما كان سيحدث لو تمسكت بعنادها ولم تطعه في ذلك، وحاولت أن تتكلم... أن تشكره بصورة صحيحة هذه المرة، ولكن، بدلاً من ذلك، وجدت نفسها تنخرط في البكاء.

وهمهم هو بشيء ما، بعدما جلس قربها، رامياً بالمعطف إلى المقعد الخلفي، وهو يتناول زجاجة تحوي شراباً منعشأ، فتحها ثم قدمها إليها قائلاً: «هاك اشربي هذا». ثم تناول علبة المناديل الورقية يقدمها إليها، لتتناول منها واحدة تغطي بها عينيها وهي تنسج قائلة: «سيارتني، سيارتني...»

حاول ان يهدأ من روعها، فقال: «عندما استأجرت السيارة، أخذت بها بطاقة تأمين مما يخول لك أخذ بديل، لها، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى حياتك».

قالت وهي تقاوم دموعها وقد ابتدأت تتمالك نفسها: «معك حق». وعندما هدأت تماماً، واستطاعت أن تتكلم، قالت: «إن كل أشيائي كانت في صندوق السيارة. إنني أعرف أن من الحماقة أن أقول هذا...» فقال وهو يأخذ مفاتيح سيارتها من يدها المتهاكمة: «سأحضرها إليك».

تعلقت بذراعه قائلة: «كلا. لا تجاذف... دعها». قال وقد تحولت لهجته إلى الرقة: «لا بأس، أنظري إلى صندوق السيارة فهو سالم تقريباً». قالت: «ولكن ربما يحدث انهيار آخر للأرض». ذلك أن البرق والرعد كانوا لا يزالان يتناوبان في السماء فتهتز تلك الأنحاء. وتخيلت ميع انهياراً صخرياً آخر ينهي على هذا الرجل كما حدث بالسيارة. ولأول مرة، وجدت نفسها تحدق فيه للمرة الأولى، في الضوء المنبعث من السيارة. كانت تدرك أنه طويل القامة، وقد سبق وأخذت فكرة عن مبلغ قوته أثناء اندفاعهما السريع ذاك من سيارتها. ولكنها ترى الآن أنه كان شاباً فتياً في بداية الثلاثينات من عمره، رغم أنها لم تكن خبيرة بمثل هذا التقدير.

ورأت شعرأ كثيفاً أسود منظماً، ووجهأ نحيلأ ذات خطوط حول الفم والأنف والذقن توحى بالقوة والكبراء. هذا إلى عينين قاتمتين عميقتين تحت جفونين ثقيلين. هزكتفيه مرة أخرى، وهو يقول: «أظن أن الأسوأ في ما يمكن أن يحدث، قد مر وانتهى».

وارتسنت على شفتيه ابتسامة جانبية وهو يتبع: «هذا إلى أنني أحمل طلاسم سحرية».

ربما كان هذا صحيحاً. وجلست لا تجرؤ على النظر خلفها، متوقعة، بين لحظة وأخرى، أن تسمع صرخة ألم. ولكن، لم يكن هناك سوى اندفاع الماء إلى النهر المتدفع المتعاظم شيئاً فشيئاً. وفي ناحية قريبة، تعلالت زقزقة طير تعلن انتهاء العاصفة.

وتخيّلت أنه غاب أكثر مما ينبغي، فأدارت رأسها لتراء واقفاً عند مؤخرة سيارتها الريينو وقد تصلب جسده وكأنه استحال إلى صخرة هو الآخر. وفكّرت في أنه ربما كان صندوق السيارة من التهشم بحيث لم يستطع فتحه، ولكنها كانت مخطئة، إذ أنه توجّه حالاً إلى سيارته الستروان، وقد حمل حقيبتي سفر في كلتا يديه. لتسمع بعد ذلك صوت ارتطامهما وهو يضعهما في صندوق سيارته. وعندما عاد إليها، بدا مقطبأ حاجبيه مستغرقاً في التفكير. وانتابها شعور بأنه ربما كان غاضباً من شيء ما يحاول إخفاءه.

ربما أدرك الآن، أن شهامته هذه شكلت عليه عبئاً مؤقتاً بالنسبة إلى مسافر غير مرغوب فيه، على الأقل. وانتابها الأسف، فهي لم تكن تلومه لامتعاضه الذي أصبح من واجبها، الآن، التسرية عنه.

قالت بحذر: «لقد كنت معـي في منتهى الشهامة، وأنا أكره أن أثقل عليك أكثر من هذا. ولكنـي في حاجة إلى أن أصل إلى فندق الأوبراـج دي سورس دي بيرون حيث بامكانـي الحصول على غرفة هناك، وسوف أتدبر أمرـ السيارة».

٢٥

أغنية الفجر

لم يكن وسيماً بكل معنى الكلمة، كما بدا العين، ولكنه كان ذا جاذبية مخيفة. كان نوعاً من الرجال لم تحلم بمقابلته من قبل. إنها تمنى لو وصلت بسرعة إلى الفندق كي لا تراه بعد ذلك أبداً، ذلك لأنها، بالرغم من روح المغامرة التي تشعر بها، شعرت أن هذا الرجل يمثل خطراً أكبر من أي خطير يمثله أي انهيار أرضي أو صخرى.

التوت ابتسامتها قليلاً، وكأنما شعر بما يدور في خلدها، مما أشعره بالسخرية، ليقول بعد ذلك وهو يدير المحرك: «هيا بنا نذهب».

ولم تكن الرحلة سارة مع أن المطر قد توقف، وابتعدت العاصفة إلى حيث كانت تدمدم من بعيد، لتسمح للشمس الباهتة أن تتقدم، بظهورها، بالاعتذار لما حدث.

كان مرافقتها هادئاً قليلاً الكلام، ولكن ربما كان ذلك كما تصورت ميع، لتركيزه على القيادة في هذا الطريق الصعب الذي كان ممتلئاً بالحطام، فقد كانا يضطربان إلى التوقف مراراً لكي يزححا من الطريق ما يكون هناك من أحجار وأغصان أشجار تعترضهما.

قالت له أثناء عودته إلى السيارة، وهو يمسح يديه ببنطاله الجينز: «هل الطريق بهذا السوء على الدوام؟» فأجابها وهو يلقي إليها بنظرة جانبية، بينما كان يدير محرك السيارة: «لقد شاهدت طرقاً أسوأ من هذه. لقد كان هذا ترحيباً بأولى زياراتك إلى فرنسا».

قالت عابسة: «وكيف علمت بأنها أولى زياراتي لفرنسا؟ ذلك من رداءة لغتي الفرنسية؟»

أجاب وهو يهز كتفيه: «ليس لدى أية فكرة وإنما حفنت

كان يبدو مستغرقاً في التفكير، ولكنه، عندما سمع كلامها هذا، أدار رأسه إليها يقول بشيء من الدهشة: «هل سبق وحجزت غرفة في الأوبرج؟» ف وقالت: «حسناً، في الحقيقة كلاً، ولكن إنه المكان الذي كنت ذاهبة إليه قبل حدوث العاصفة تلك. فقد أرشدوني إليه».

قال: «إنه مكان محظوظ عند السواح. وكان من الأفضل لو كنت حجزت غرفة مقدماً». وازداد تقطيب جبينه وهو يستطرد: «أليس عندك خطة بديلة لهذه؟»

أجبت: «ليس ثمة ما هو مؤكد». وسكتت. فلم يكن في استطاعتها أن تطلب منه أن يأخذها كل ذلك الطريق إلى هاوت أرينبياك. لقد كان هذا الذي حدث لها، نكسة قوية أفشلت مخططها، ولكنها كانت تشعر بالخوف من أن تصل إلى القصر مبكراً عن الموعد دقيقة واحدة. واستطردت وقد بدت على شفتيها شبح ابتسامة: «على أن أجاذف لاحتمال أن أجد غرفة خالية».

ألقى عليها نظرة أخرى طويلة، ثم قال بلطف: «ليس من الحكمة دوماً، يا آنسة، أن تجازف، خاصة حين تكونين بعيدة عن موطنك».

كان في صوته نبرة غريبة تتضمن نوعاً من التحذير الذي يقرب من الوعيد، كما تراءى لها، جعل رعشة تشمل جسدها بأكمله. أم لعلها مجرد تصورات نتيجة للصدمة التي أصابتها؟

لا بد أن الأمر كان كذلك، لأنه ابتسم لها فجأة، وكانت ابتسامة فاتنة خفت من صلابة فمه المتكبر ذاك.

ذلك. كما أن لغتك الفرنسية ممتازة. وهذا غريب.» ونطق الجملة الأخيرة بجفاء.

سألته: «لماذا تقول ذلك؟»

أجاب بعد صمت قصير: «لأن الكثير من رجال بلدك لا يهتمون بتعلم لغتنا. أنهم يظنون أنهم إذا هم رفعوا صوتهم قليلاً، وأبطنوا بالكلام فستفهم ما يقولون..» أومات ميغ برأسها آسفة، إذ سبق وسمعت نفس القول من المعلمة التي كانت تدرسهم اللغة الفرنسية في المعهد الليلي. وهي سيدة فرنسية متزوجة من انكليزي.

وقالت: «أظن أن السبب في ذلك يعود لشعورهم بأنهم سكان جزر، فهم لا يشعرون بأنفسهم جزءاً من القارة الأوروبية. وقد تتغير نظرتهم هذه إذا امتد إنشاء نفق القanal في بحر المانش.»

أجاب: «ربما.»

تبع ذلك صمت آخر. كان يقود السيارة بمهارة فائقة، كما لاحظت ميغ، وكانت يداه الرشيقتان تديران عجلة القيادة دون أي مجهود.

كانت ملابسه بسيطة، وبنطاله الجينز ذات قصة جيدة، وكانت أكمام قميصه الأبيض مثنية تبرز عضلات ساعديه. والشيء الوحيد الذي كان يتزين به هو ساعة ذهبية.

لم تستطع ميغ، وهي تتأمله من تحت أهدابها، أن تخمن الفئة التي ينتمي إليها، مهنية كانت أم اجتماعية، ولكنها لم تذكرت قلة خبرتها في ذلك وأنها، في ما يختص بالرجال، كانت عديمة الخبرة تماماً، ما عدا السيد أوتواي صاحب المكتبة، وتيم هانزبي الذي كان يجمع كتب التاريخ

ال العسكري، والذي دعاها، ذات مرة، للذهاب معه إلى لندن في زيارة إلى المتحف العسكري الإمبراطوري. وقد استمتعت ميغ بزيارة ذلك المتحف أكثر مما توقعـتـ. ولكن تيم، حيث أنه كان وحيد والدته الأرمـلةـ المتعلقةـ بهـ، لم يكن ليصلـحـ أكثرـ من مجردـ صـديـقـ عـادـيـ. فقدـ كانـ ماـيزـالـ يعيشـ معـ والـدـتهـ. وقدـ شـعرـتـ مـيـغـ،ـ حينـذاـكـ،ـ بالـشـفـقـةـ علىـ الفتـاةـ التـيـ تـقـعـ فـيـ حـبـهـ،ـ ذـلـكـ أـنـ والـدـتـهـ كـانـتـ مـصـمـمـةـ عـلـىـ أـنـ تـحـفـظـ بـحـيـاتـهـ تـلـكـ مـعـهـ كـمـاـ هيـ دـوـنـ تـغـيـيرـ.ـ وـمـعـ أـنـ مـرـافـقـهـ الـآنـ لـمـ يـكـنـ يـبـدوـ عـلـيـهـ أـنـ مـرـتـبـطـ بـأـيـةـ اـمـرـأـةـ،ـ الاـ أـنـ مـيـغـ اـعـتـبـرـتـ أـنـ الـمـظـاهـرـ قدـ تكونـ خـدـاعـةـ،ـ فـقـدـ يـكـونـ مـرـتـبـطاـ بـأـمـرـأـةـ سـلـيـطـةـ الـلـسـانـ وـفـوـجـ مـنـ الـأـطـفـالـ،ـ وـسـيـخـبـرـهـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ،ـ بـعـدـ الـعـشـاءـ،ـ كـيـفـ اـنـقـذـ سـائـحةـ انـكـلـيـزـيـةـ وـحـيـدةـ مـعـ الـعـاصـفـةـ،ـ جـاعـلـاـ مـاـ حدـثـ مـجـدـ قـصـةـ مـسـلـيـةـ.ـ وـعـنـدـمـاـ تـقـرـبـدـ بـهـ زـوـجـتـهـ،ـ فـيـ مـاـ بـعـدـ،ـ سـتـسـأـلـهـ،ـ كـيـفـ تـراـهـاـ تـبـدوـ تـلـكـ الفتـاةـ الـانـكـلـيـزـيـةـ؟ـ وـسـيـبـتـسـمـ هـوـ وـيـقـولـ:ـ اـنـهـ مـجـدـ فـتـاةـ عـادـيـةـ،ـ فـأـنـاـ لـمـ أـكـدـ الـحـظـهـاـ...ـ عـنـدـمـاـ نـظـرـ إـلـيـهـاـ،ـ اـدـرـكـتـ مـيـغـ أـنـ آـهـ خـفـيـفـةـ كـانـتـ قـدـ أـفـلـتـ مـنـهـاـ،ـ فـأـسـرـعـتـ تـقـولـ:ـ «ـهـلـ مـاـ زـالـتـ الـطـرـيقـ أـمـاـنـاـ طـوـلـيـةـ إـلـىـ الـأـوـبـرـجـ.ـ»ـ

أجاب: «ـحـوـالـيـ الـكـيلـوـ مـتـرـ الـواـحـدـ.ـ هـلـ تـجـدـيـنـ الـرـحلـةـ مـمـلـةـ؟ـ»ـ

أـسـرـعـتـ تـقـولـ:ـ «ـآـهـ،ـ كـلـاـ.ـ وـلـكـنـنـيـ أـخـشـىـ أـنـ يـكـونـ لـدـيكـ عـمـلـ تـوـدـ الـقـيـامـ بـهـ.ـ اـنـتـيـ أـشـعـرـ بـنـفـسـيـ مـرـعـجـةـ.ـ»ـ

أـجـابـ:ـ «ـأـنـتـ مـخـطـئـةـ،ـ فـأـنـاـ مـسـرـورـ بـتـقـدـيمـ هـذـهـ الخـدـمـةـ لـكـ.ـ لـأـنـ هـذـاـ هـوـ طـرـيقـيـ،ـ فـأـنـاـ سـأـمـرـ بـالـأـوـبـرـجـ عـلـىـ كـلـ حـالـ.ـ»ـ

وهكذا، الفائدة تعود علينا نحن الاثنين. ان اسمي هو جيروم مونتكورت. هل يمكنني أن أعرف اسمك أنت أيضاً؟» فتحت فاما لقول ميع لأنفتشي ولكنها عادت فترددت، ولم تقل شيئاً. فقد جاءت إلى هنا لتكون مارغوت. وساورها الشعور بالذنب اذ وجدت نفسها تكاد تنسى ذلك. ولكن، بما أن الخداع لا بد أن يبدأ على كل حال، فماذا لا تبدأ به مع هذا الغريب ما دامت لن تراه مرة أخرى؟ ولكنها، في نفس الوقت، أدركها الرعب من أن تدللي بتلك الكذبة المضحكة. وفكرت، وهي تطلق آهه، أنها ليست من النوع الذي يجيد حبك المؤامرات.

وأخيراً، قالت بابتسامة مصطنعة: «دعنا نقل مارغريت فقط». وفكرت في أن هذه نصف الحقيقة على كل حال، وقد لا تحتاج علاقتها معه إلى أكثر من هذا.

قال بلطف: «إنه إسم زهرة، وهو أيضاً اسم ملكة فرنسية مشهورة. ربما قد سمعت باسم الملكة مارغوت وأسمها الحقيقي مارغريت دي فالوا والتي تزوجت من هنري أوفر نافار، وكانت من أجمل نساء عصرها. ويسمونها السيدة المغامرة».

تحركت ميع بقلق وهي تسمع الاسم، ثم سألته: «ما معنى هذا اللقب؟»

هز كتفيه قائلاً: «معناه أنها كانت تحب المغامرات العاطفية، خصوصاً مع رجال غير زوجها. لقد اكتسبت سمعة سيئة جداً».

قالت: «لا أظنهما كانت سعيدة مع زوجها هنري اوفر نافار إذن؟»

فضحك وهو يجيب: «آه، ولكنه هو أيضًا يكن خالياً من العيوب. وربما كان هذا هو السبب في أن فرنسا مازالت تذكره باعجاب وتسميه الرجل الشجاع..»

قالت ميع متسائلة: «وطبعاً، كان الزواج في تلك الأيام، يقوم على المصلحة فقط. ولهذا، أظن أن الأزواج كان لهم عذرهم في ذلك ماداموا قد ارتبطوا بغير حب».

قال بسخرية: «وما رأيك بالنسبة للزوج إذا كان مرتبطاً بهذا الذي نسميه حباً؟»

قالت بحزن: «إذن فلا عذر أبداً للأزواج في الخروج على الرابطة الزوجية».

قال: «إن كلامك هذا يدهشني».

أجللت قليلاً وسألته: «لماذا؟»

فتردد جيروم لحظة، ثم قال وهو يرفع كتفه: «لأن هذا قد أصبح رأياً قديماً ضد المفهوم الحديث. أما مفهوم العصر فهو، زواج سهل يتبعه طلاق سهل».

هزمت ميع رأسها قائلة: «لا أصدق هذا، فالطلاق ليس سهلاً أبداً. ذلك أن أحد الزوجين سيصيبه الضرر البالغ، وخصوصاً إذا كان هناك أولاد».

ألقى عليها نظرة سريعة وقال: «لم أتوقع أن التقى بفتاة مثالية».

قالت ببرزانة: «إنك، إذن، لم تتوقع التعرف إلى أبداً». ابتسم مرة أخرى، فشعرت بجاذبيته تتغلغل في نفسها برقة فائقة مع ابتسامته تلك. وقال: «ألا تظنين ان القدر، وليس العاصفة، هو ما جمع بيننا؟»

أطلقت ميع ضحكة قصيرة، شاعرة برجفة خفيفة في

صدرها، وهي تقول: «إتنا، في انكلترا، يا سيدى، اعتدى على توجيه اللوم إلى الأحوال الجوية في كل شيء». ضحك هو أيضاً، وقال: «وفي فرنسا، يا آنستى، زهرة المارغريت تميل دوماً نحو الشمس. تذكرى هذا». وسكت لحظة ثم عاد يقول: «هو ذاك فندق الأوبرا ج أصبح أمامنا». وفجأة، شعرت بشيء من الخيبة تكتتفها. ماذَا جرى لعقلها لتدع رجلاً غريباً يؤثر عليها بهذا الشكل؟ حقاً انه انقدرها وأنها ستبقى مدينة له بهذا الجميل على الدوام، ولكنها لم تكن متاكدة من أنه أعجبها. فقد كان شخصاً لا يمكن التنبؤ بسلوكه. ألا يكفيها ما هي فيه من مشكلات، حتى تضيف إليها هذا أيضاً؟

ربما كان من طبعه العبث ومغازلة أية فتاة يصادفها في طريقه. وهي غير معتادة على هذا النوع من الرجال.

كان فندق الأوبرا دي سورس دي بيرون مبنياً مريحاً متشعب البناء. وربما كان سابقاً منزلًا في مزرعة وقد قام في خلفية باحة محاطة بسور.

دخل جيروم في ممر مسقوف إلى حيث الباحة تلك ثم توقف. واستقامت ميغ في جلستها، ثم مدت اليه يدها باسمة وهي تقول: «حسناً، وداعاً، مع شكري الجزيل.»

قال وقد بانت السخرية على شفتيه: «أراك متلهفة إلى التخلص مني..»

أسرعت تقول: «آه، كلا، ليس الأمر هكذا. ولكنني أخذت من وقتك الكثير.»

قال وهو يترك السيارة: «يجب أن تسمحي لي بتقدير ذلك بنفسي.» ودار حول السيارة يفتح لها الباب يساعدها على

النزول، وهو يتابع: «اذهبى وأسائلهم إذا كان ثمة غرفة خالية، وسأحضر لك امتعتك.»

ومن خلال باب زجاجي، دخلت إلى قاعة الاستقبال مسقوفة بالقرميد، لتسقبلاها الموظفة المسئولة بغاية الترحيب، قائلة إن ثمة غرفة فعلاً، وسيكون من دواعي سرورها أن تريها للأنسة، ولكن ثمة أمر مزعج جداً وهو أن العاصفة قد تسببت في قطع التيار الكهربائي، وإلى أن يصلح هذا الخل، فإن هناك الشموع والقناديل. أما بالنسبة إلى غرفة الطعام...

و وأشارت الموظفة المسئولة بيدها بيسار.

وقال جيروم مونتكورت من فوق كتف ميغ: «هذا لا يهم. إن الآنسة ستتناول العشاء معى.»

و شعرت ميغ بوجنتيها تتوهجان وهي ترى المرأة ترفع حاجبيها وهي تظهر موافقة ماكرة على هذا الحل، بوجه عام، وعلى شخصية جيروم بوجه خاص. ثم تطلب راجية من السيد أن يتكرم بنقل امتعة الآنسة إلى الغرفة حيث أن المكلف بذلك مشغول تماماً بملء القناديل، وهي لن تنسى هذا الجميل منه إلى الأبد.

ابتسم لها جيروم قائلاً: «بكل سرور. ولكنني أحب أن أعرف أو لأُما إذا كانت العاصفة لم تضر بالأسلاك الهاتفية، إذ يجب أن تبلغ عن الحادث.»

ولما أجبت بأن الهاتف غير معطل، رفع جيروم حاجبه مخاطباً ميغ: «ترضين بأن اتصل بالمسؤولين لإبلاغهم عن الحادث وأنهى الإجراءات الرسمية للسيارة؟ إن هذا سيسهل الأمور بالنسبة إليك مهما كانت لغتك الفرنسية جيدة و...»

شكرته ميع بخجل، ثم صعدت مع الموظفة عبر سلم خشبي عريض يقود إلى خلف المبني حيث غرفتها. كان السقف منخفضاً والأرض غير مستوية ولكن الأثاث كان ملماً بالدهان، والسرير الواسع مفروشاً بملاءات ناصعة البياض.

وفي زاوية الغرفة، يقوم باب يقود إلى حمام لا يكبر كثيراً عن خزانة الثياب. وكانت النافذة المربعة الصغيرة تبدو عميقاً في الجدار الحجري السميك، وكانت مفتوحة لتسمح للشمس بالدخول. وكان الهواء مايزال بارداً مشبعاً برائحة زهر الخزامي. وبينما أخذت ميع تتنفس بعمق، أوّمات الموظفة برأسها راضية وهي تتنفس حولها، ثم خرجت عائنة إلى عملها بعد ما أغلقت الباب خلفها.

وقفت ميع أمام النافذة. لقد كان يوماً حافلاً وإن يكن لم ينته بعد... إلا إذا شاعت هي، طبعاً، ذلك. ولكنها لم تكن متأكدة من مشاعرها بالنسبة لهذا الأمر.

وفكّرت في شيء من الارتباك، بأن أشياء كهذه لا تحدث، في العادة، لها، وأن طبيعة شعورها قد تغيرت. إن من المفترض أنها مارغوت فهل تراها أخذت حياتها كما أخذت اسمها؟ وتساءلت، هل بمقدورها أن تسلبها ذلك؟

وسمعت صوت الباب يفتح، وجيروم يدخل بأمتعتها. وابتدأ قلبها يخفق، وجف فمه.

قال وهو يرفع الحقيبتين ليضعهما فوق الحامل الخشبي المخصص لذلك: «سترسل الشركة إليك سيارة ثانية صباح الغد. إنما سيكون عليك أن تضعي تقريراً بالحادث. وأنا سأكون شاهداً على الحادث، وبهذا تنتفي أية صعوبة.»

وبقيت مولية ظهرها إليه ثم قالت: «إنني... إنني شاكرة جداً». فقال: «هل أنت شاكرة إلى درجة تقبلين معها دعوتي إلى العشاء هذه الليلة؟» كان واقفاً خلفها مباشرة. كانت تحدق في المنظر الخارجي وكأنما كانت تريد ان تحفره في ذاكرتها. كانت الأرض خلف سور حديقة الفندق الصغيرة، تعلو بسخورها مما يشكل منظراً برياً مثيراً، تنتشر في أنحائه مجموعات من الأشجار. وكان شمة جدول ينساب بين مجموعتين من الصخور لكي ينحدر، بعد ذلك، بشكل شلال صغير. وكانت على جانبيه تقوم نباتات داكنة الخضراء.

قال جيروم من فوق كتفها: «إنه نبع بيرون». أوّمات برأسها وهي ترتجف. وعاد يقول بعد فترة صمت: «إنك، بالطبع، غير مجبرة على أن تقبلني دعوتي للعشاء..» وكانت هي تعرف ذلك. تعرف أيضاً أن رفض هذه الدعوة بآدب وابتهاج ظاهرين، إنما هو أفضل وأكثر أماناً.

ولكن، بينما كانت تستدير لكي تجيئه، لمحت انعكاس صورته في زجاج مصراع النافذة، كان وجهه قاتماً حذراً وفمه مطبقاً بحزم، شهقت وأدارت رأسها بحدة. ولكن، لا بد أن ما بدا على وجهه كان من تأثير الأضواء، لأنّه كان ينظر إليها ببساطة وابتسامة شبه ساخرة.

قال بلطف: «امنحيني هذا السرور، يا مارغريت. هل يمكنني أن أعود إليك حوالي الساعة الثامنة؟» أجبت: «نعم. إنني أود ذلك.»

وعندما أصبحت وحدها في الغرفة، أخذت تسأله عما إذا كان ما قالته صحيحاً حقاً.

الفصل الثالث

استمتعت ميغ بدوش طويل دافئ، لتمضي بعد ذلك وقتاً لا يأس به في اختيار ثوب تلبسه لهذا المساء، وفي النهاية، استقر رأيها على ثوب بسيط عسلاني اللون ذي تنورة واسعة، ووضعت في أذنيها قرطين ذهبيين، ثم نثرت على جسدها عطرها المفضل من روانج نينا ريتشي.

وقفت تتأمل مظهرها في المرأة، مقطبة الجبين، ابتداء من شعرها المنسدل على كتفيها وعينيها العسليتين الواسعتين، إلى قدميها الرشيقتين في النعل الخفيف ذي الأربطة، والبرونزي اللون، ثم هزت رأسها وهي تفكير في أنها تبدو غريبة عن ذاتها... وأنها أشبه ما تكون بالمرأة العجوز المذكورة في أغاني الأطفال.

شعرت بالاحباط وهي تفكير في أن حيروم مونتكورت لو كان قد جاء إلى المكتبة حيث كانت تعمل طوال ثمانية عشر شهراً الماضية، ربما ما كان ليوليبها أي اهتمام، إنها ما زالت لا تعرف لماذا قبلت دعوته هذه إلى العشاء، فهذه لا تبدو لها خطوة حكيمه مطلقاً. ذلك أنها لا تعلم عنه شيئاً ما عدا اسمه الذي قد يكون مزيفاً، على كل حال.

انتابها الضجر، أخيراً، من كل هذه الوساوس، إلا يمكن ان تكون مخاوفها، تلك من أن يكون مخادعاً، ناشئة عن أنها هي نفسها تقوم بدور مخادع؟ إنها لا تنكر حماسه الفائق في تقديم المساعدة لها، ولكن ألا يمكن ان تكون هذه ناحية

من شخصيته؟ وتذكرت ذلك التعبير الجامد المخيف الذي سبق ولمحته على وجهه المنعكس في زجاج النافذة، وقبل ذلك في السيارة حين شعرت، للحظة وكأن غضبه يمتد إليها كشهيء حقيقي تماماً.

ربما كان من أولئك الأشخاص الذين يتبدل مزاجهم بسرعة... وربما، وهذا أكثر احتمالاً، كان هذا كله مجرد تخيلات منها. وفكرت وهي تتحول عن المرأة، في أنها لم تعد تعرف شيئاً، ولكن هذه الدعوة قد حصلت بحضور الموظفة المسؤولة، وهذا يجعلها فوق مستوى أية شبهة، وبعد، أنها على الأقل، لن تتعرضي وحدها في أول ليلة لها هنا في اللانغفيودوك. وتملكها، لذلك شعور بالبهجة.

حملت حقيبتها اليدوية وكتاباً عن الكاثار كان السيد أوتواي قد قدمه إليها عندما ودعته، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل لتنظره. وفي قاعة الاستقبال، كانت الموظفة مستغرقة في جدل حام في الهاتف مع واحد سيء الحظ من ممثلي شركة الكهرباء. ولكنها ابتسمت لميغ مشيرة إليها بأن تذهب إلى باحة الفندق.

كانت الشمس قد عادت، بكل قوتها وتألقها، لتغرق الكائنات بفيض أشعتها الذهبية، وجلست ميغ إلى إحدى تلك الطاولات الحديدية المزخرفة المنتشرة في الباحة، ترشف كوباً من العصير وتقرأ في الكتاب.

لم يكن من السهل، في هذه الأمسيه الرائعة، أن تركز ذهنها في ما تقرأه، كما انه مما يدعو للأكتئاب أيضاً، أن الكاثار كانوا يعتقدون ان الجنس البشري وكل شيء آخر هو مكون في جوهره، من الإثم. ولكي يتتجنبوا اللعنة اتبعوا

نظاماً صارماً من الصلاة والصوم والامتناع عن الكحول بما في ذلك الامتناع عن أكل اللحوم. كما كان يدعون أيضاً إلى العزوبية دون الزواج.

وفكرت ميني في أنه لا بد أن الغالبية من أتباع هذا الدين لا يتبعون أوامر دينهم تماماً، وإنما لانقطع نسلهم منذ أجيال، ومن وجهة نظر العصر، يبدو دينهم غريباً أكثر منه خطراً، وبعد فإن الجيوش قد أرسلت لمحوهم عن وجه الأرض، تماماً كما تُضرب الذباب بمطرقة ثقيلة.

أدركت أن جيروم قد وصل حتى قبل أن يسقط ظله على صفحة الكتاب التي كانت تقرأها. فقد انتبهت إلى حركة حول الطاولات المجاورة، ورفع النساء لحواجبهن وتمماتهن وهن يدرن رؤوسهن لكي ينظرن إليه أثناء عبوره الباحة.

قال لها بالفرنسية: «مساء الخير». وكان يرتدى بنطاطاً عاجي اللون وقميصاً كستنائيّاً مفتوحاً عند العنق. وكانت غرته السوداء الكثيفة العاصية فوق جبينه قد نظمت نوعاً ما.

وعندما ردت عليه التحية، خطر لها أن غرفته المترفة تلك قد تكون هي مفتاح اللغز في شخصيته. وأن تحت هذه الملابس الغالية، والسلوك المعمدن، تكمن نزعة إلى العنف تنتظرحظة الانفجار. وتساءلت عما إذا كان فناناً، فلا بد أنه ناجح جداً. إذ ان ساعته وسيارته، وكل شيء يتعلق به يدل على الثراء.

ولم يجد عليه أنه لاحظ شيئاً من الاهتمام الذي أثاره قدومه، وهو يجذب كرسياً ليعجلس عليه، مشيراً إلى النادل

لكي يحضر له الشراب. وأعجبها منه عدم انتباهه إلى مقدار جاذبيته. فقد اعترفت ميني، بينها وبين نفسها، أنها، لأول مرة في حياتها، تواجه رجلاً تطغى الجاذبية المتدفعه منه على أبيه وسامه أو جمال مظهره. ولم تعرف كيف تعامل مع ذلك.

قال: «إنك تبددين في منتهى الجد، أرجو أن لا تكون شمة صدمة ما زالت في نفسك مما سبق وحدث».

فهزت رأسها نفياً وهي تقول يا شمشاز: «كلا، وإنما أفكر في ظلم الإنسان للإنسان».

فالقى نظرة على الكتاب الذي في يدها وهو يقول: «انها أفكار حزينة بالنسبة لأمسية مثل هذه». ورفع حاجبيه وهو يقرأ عنوان الكتاب: «بلاد الكاثار. هل تهتمين بقراءة مثل هذه المواضيع؟»

فقالت وهي ترفع ذقنها متحدية: «ولم لا؟» وتساءلت باستحياء، أتراء يظنها غبية لمجرد تركها القضية سيارتها تحت سلطته؟

وأخذ يتأملها فترة طويلة وعلى وجهه تعبر غامض. وما لبث أن هز كفيه قائلاً: «حسب قولك، لم لا؟ إنك مخلوقة مليئة بالمفاجآت، يا مارغريت».

فقالت: «ليس أنا فقط. إن كلاً منا لا يعرف شيئاً عن الآخر».

قال برقة: «هذه الليلة، إذن، ستكون رحلة استكشافية». ربما كان يسيطر على السيد مونتكورت فكرة تأثيره على النساء، فأصبح مطمئناً إلى قدرته على إغرائهما بسهولة؟ وربما يعتبر ذلك ثمناً لمساعدة تلك لها. حسناً، ليس عليه

ان يتوقع شيئاً... كانت عابسة وهي تفكك في ذلك بصمت.
وفكرت ميع في أن مارغوت كانت، بلا شك، ستسقّط
بهذه اللعبة جداً لو كانت مكانها، فتتقدم، وتتأخر، وتقدم
وعوداً كاذبة، وفي النهاية، إما أن تبتعد نهائياً، وإما أن
تبقى... حسبما تشاء.

وربما لا ينتج أي ضرر في ما لو زاولت هي هذه اللعبة
لهذه الليلة فقط، أو ربما تتعلم بعض قواعدها. وفكرت في أنه
ربما هذه هي فرصتها لكي تتعلم كيف تعيش ضمن الخطر!
وفرغ جيروم مونتكورت من احتساء شرابه، ثم نظر إلى
كأسها الفارغ وسألها: «هل تذهب، أرجو أن تكون مغامراتك
هذا النهار قد منحتك شيئاً من الشهية؟».

أشرق وجهها بالابتسام وقالت وهي تدفع كرسيها إلى
الخلف ثم تقف منتصبة: «إنها أولى تجاربي مع الطعام
الفرنسي، ولا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك.»

كانت الشمس قد مالت إلى المغيب، بلونها القرمزي
الأخاذ، عندما قاد السيارة خارجين من الوادي.
ومالت ميع برأسها نحو الشمس وهي تهتف: «ما أروع
هذا، سيكون نهار غد رائعاً.»

ابتسم وقال يغطيها: «هل ستحدث عواصف أخرى؟»
هزمت كتفيها قائلة: «أرجو أن لا يحدث ذلك.»

قال: «لقد كان حظك سيئاً، ذلك أن العواصف، عادة،
تحدث في الليالي. وأحياناً، أثناء قيادتك للسيارة، ترين
البرق يتلاعب حول التلال مشبهاً أضواء مسرح صامت.
وفجأة، تُقتلع شجرة من جذورها، ليجن بعد ذلك الكون، كما
سبق ورأيت بنفسك.»

قالت بأسى: «لقد رأيت. أليس عندك شيء أفضل من ذلك
يمكن للسائح ان يراه؟»

أجاب: «ربما سيناسبك الفجر أكثر، حيث ذلك الخط من
الضوء النقي في السماء الذي يفرق النجوم، قبل ان ترتفع
الشمس فوق الأفق.»

فالقلت عليه نظرة جانبية وهي تقول: «إنك تتكلم كشاعر.
هل أنت كذلك؟»

فضحك قائلاً: «كلا مع الأسف، إن عملي بعيد عن
الشاعرية، مع ان والدي كان يهتم كثيراً باشعار هذه
المنطقة... أغاني التروبادور وما يليها.»
سألته: «هل كان يكتبها بنفسه؟»

فهز رأسه نفياً وهو يقول: «كان أبي يعيش في أرض
تعود إلى عائلته، يغرس كرومته بنفسه. كان يعشق الحياة
البسيطة.»

قالت: «هذه الحياة تتراءى لي جميلة حقاً.»

قال: «أظنها كانت قاسية، في إحدى الفترات، ذلك ان
الحياة البسيطة تصبح معقدة أحياناً، وفي النهاية، عاد أبي
إلى باريس..»

سألته: «وهل تعيش أنت أيضاً تلك الحياة البسيطة؟»
أجاب باسماً: «حسب استطاعتي، ولكنني مهندس في
أغلب الأحيان. وقد اعتدت العمل في باريس، ولكن أعمالنا
تمتد وتشتغل في أنحاء البلاد، وأنا حالياً مستقر في
نولوز.»

قالت: «أي أنك عدت إلى جذورك؟»

أجاب: « تماماً. وأنا أعمل بصورة رئيسية، مستشاراً في

حفظ وترميم المباني القديمة... أي البيوت التي كانت قد أهملت في غمرة الانجراف الكاسح من الأرياف إلى المدن، والتي عادت الآن مطلوبة».

قالت مفكرة: «أظن ان إصلاح نسج التاريخ هذا فيه من الشاعرية والخيال بقدر ما في الشعر نفسه».

فازدادت ابتسامته اتساعاً وهو يقول: «إنني، في الواقع، أتفق معك في هذا، ولكنني لا أقول ذلك لعملائي وإلا فهم يتوقعون مني أن أعمل لأجل الحب وليس لأجل النقود».

سألته: «هل تعمل، حالياً، في مشروع ما؟»
أجاب: «تقريباً، وأنا الآن في إجازة رسمية». ولما لم يجد عليه رغبة في التحدث في هذا الموضوع، سكت.

وسألته بعد برهة: «هل تفتقد الحياة في باريس؟»
هز رأسه نفياً وهو يقول: «إنني لا أفتقد أية مدينة. لقد اختارت أسرتي الحياة هناك ما عد أي».

فعادت تتساءل: «هل أسرتك أصلًا، من هذه المنطقة من البلاد؟»

أجاب: «نعم، إن جذورنا دوماً كانت هنا، وفي الواقع، كان جدي هو أول من انتقل من هنا كلباً».

سألته: «ألم تخطر له العودة قط؟»
هز كتفيه قائلاً: «لقد كانت جدتي باريسية لا تحب الحياة في الريف».

قالت: «ولتكن أنت عدت».

أجاب: «نعم، عدت إلى حيث أنتمى ويسعد قلبي».

فكرت ميع بشيء من الكتابة في أنه لم يحدث قط أن كانت هي متأكدة، يوماً، مما ت يريد، كما يبدو عليه هو، فهي ما

زالت تعيش في آخر منزل لأبيها. ولكنه قد تحول كلياً حسب ذوق زوجة أبيها ايريس مما جعل ميع تشعر، في أغلب الأحيان، وكأنها غريبة. وهي قد أصبحت الآن دون عمل تعول به نفسها. وهكذا شعرت بنفسها هائمة في العالم. وربما حان الوقت لكي تجد لنفسها مستقرًا تتمدد فيه جذورها.

وابتدأت الآن تتساءل عن المكان الذي كانا ذاهبين إليه. فقد كانت تظن أنه سيأخذها إلى مطعم محلى لا تكون فيه الكهرباء مقطوعة، ولكن سيارته المستروان كانت تسير في سرعة فائقة، وتمتن لو كانت لاحظت إشارات السير، لترى، على الخارطة التي تحملها معها في حقيبتها، وجهة سيرهما هذه.

وكأنما لاحظ شرودها، فسألها: «أتحببين أن تسمعين شيئاً من الموسيقى؟»

أجابته بسرعة: «كلا، إنني أفضل متابعة المناظر والحديث، ولكن إذا رأيتني أكثر عليك بالأسئلة، نبهني إلى ذلك».

فرمقها بنظرة سريعة، ثم عاد ينظر إلى الطريق وهو يقول: «لا أظنك توجهين إلى أسئلة لا أحب الإجابة عنها. هل الأمر كذلك بالنسبة إليّ، يا مارغريت؟»

أجاب: «طبعاً، فليس لدى ما أخفيه».

قال هازلاً: «امرأة دون أسرار؟ ذلك شيء غير معقول..» فضحكـت وهي تقول: «كلا، إن حياتي غير معقدة، بل ومملة أيضاً». وفكرت في أن حياتها كانت كذلك في الحقيقة.

قال: «ومع ذلك، أراك تساورين بمفردك، وتهتمين بهذه المنطقة أكثر مما يفعل السياح عادة، وهذا لا يدل على انعدام في النشاط. أظنك تخفين شيئاً في أعماقك، يا مارغريت».

كان في صوته نبرة جعلت قلبها يقفز من موضعه وأجابت بشيء من الانفعال: «إن ذلك يقال عن كل شخص يولي إجازته اهتماماً غير عادي».

سالها بعد صمت قصير: «أخبريني. لماذا تلكت بالجواب حين سألك أن تتعشى معي؟ هل هناك صديق في إنكلترا، قد يعقد الأمور؟»

وفكرت ميغ ساخرة في تيم هانزبي، ثم قالت: «لا يوجد أحد».

فقال بلهجة يبدو فيها الشك: «لا أصدق أنه لا يوجد ثمة شخص تهتمين به».

هزت كتفيها وقد منعها الكبرياء من الاعتراف بأنها حتى الآن، ما زالت تحتل مكاناً غير ملحوظ على الرف. وإن هناك شخصين فقط يهمانها حقاً، هما صاحب المكتبة الذي تقاعد الآن، وامرأة مسنة كانت لها بمثابة الأم ومنحتها من الحنان والعزاء ما عجز أبوها إزاء حيرته وألمه لفقد زوجته الشابة، عن تقديمها إليها، وأنها هنا الآن، بسبب هذين الشخصين.

وازدردت ريقها. ليس لديها الكثير لتتحدث عنه، في سنها العشرين هذه، ثم إن هذا ليس الوقت المناسب للشعور بالحزن لأجل نفسها. ولكن، ما شأنه هو بذلك في ما لا لم تشا هي أن تكون صريحة؟ ثم لماذا هي تسعى لأن تبدو

مشيرة للاهتمام فتحي الوقت الذي عندها فيه ما تخفيه؟ قالت متحدة: «وهل هذا يغير من الأمر شيئاً؟ إن دعوة إلى العشاء لا تستلزم موعدة في الوفاء..» والتقطت أنفاسها وهي تتتابع: «ثم إنك أنت أيضاً قد تكون متزوجاً».

فرد عليها قائلاً: «وهل لكوني متزوجاً أية أهمية؟» شعرت بأنه يراوغ في كلامه، مما جعل قلبها ينقبض هلعاً بشكل غير معقول.

أجابت: «أظن الأمر مهماً جداً بالنسبة إلى زوجتك». قال: «من حسن الحظ، إذن، إن لا زوجة لي بعد..» كانت لهجته، وهو يقول ذلك، مزيجاً من السخرية و شيئاً غامضاً لم تدرك كنهه.

فغمضت تقول: «هذا من حسن حظها هي، على كل حال..» وشعرت، وهي تقول ذلك، بالاشمئزاز من نفسها لهذا الشعور بالارتياح الذي اكتنفها والذي جعلها سيئة الخلق لتقول شيئاً كهذا.

فقال بلهجة تحوي شيئاً من اللوم: «ليس هذا من اللطف في شيء، ألا تخدينني أنتي سأكون زوجاً جيداً؟» فاجابت باقتضاب: «لا يمكنني إعطاء رأي صحيح في هذه المدة القصيرة من تعارفنا..» كانت تعلم أنه يضحك منها رغم الجد الذي يبدو على ملامحه والذي يقرب من العبوس. فقال: «ولكن لا شك أن عندك مثلاً أعلى في خيالك، ما هي الصفات التي تريدينها فيه؟ هل تتطلبين فيه الأمانة الزوجية؟»

أجابت ميغ وهي تعبر بشرى طحيبة يدها: «أريدك أن يحبني، وليحبني أنا فقط، كما أحبه، وأظن هذا يسهل أموراً كثيرة».

سادت فترة صمت قال بعدها: «هذا يكتسح كل شيء بالتأكيد. ولكن إذا حدث، بالرغم من هذا الحب، وتدخلت امرأة أخرى ت يريد أن تسلبك مثلك الأعلى هذا، ما الذي ستفعلينه، عند ذلك؟ هل تضحيين بنفسك؟ هل تطلقين سبيله ليذهب إليها؟»

فأجابت بعنف: «كلا. سأكافح للاحتفاظ به بكل ما أملك.» فقال بصوت منخفض: «هل ستكونين عديمة الرحمة؟ هل ستستعملين السلاح؟» فأجابت متربدة: «طبعاً. ولكن لماذا توجه إلى كل هذه الأسئلة؟»

قال بلطف: «لأنني أريد أن أعرف يا صغيرتي. فهذه المعرفة هي جزء من رحلة الاكتشاف التي تححدث عنها، وقد وجدت أنك ستدفعين عن حبك كالنمرة.» ومرة أخرى، ظهرت تلك النبرة الغامضة في صوته. ووجدت ميع نفسها ترتجف. فلاحظ هو ذلك وسألها: «هل تشعرين بالبرد؟»

فقالت وهي تتصرّع ابتسامة: «أوه، كلا، ربما أنا جائعة.» وذهب بها التفكير، وهي تقول هذا إلى الغداء الذي سبق واشتراكه للنزة تلك، وسحق مع السيارة.

قال: «لقد صبرت وقتاً كافياً وآن لك ان تأكل». واستدار بالسيارة فجأة خارجاً من الطريق العام ليدخل في طريق يقود إلى أسفل التل. واستندت ميع ببديها عندما تأرجحت السيارة ثم قفزت فوق الأحجار والأخاديد العميقية. وشهقت قائلة: «هل يوجد ثمة مطعم في هذا المكان؟ أرجو ان يكون هناك طريق آخر نخرج منه؟»

فأجاب: «انه ليس مطعماً.» كان أمامهما مجموعة من مبانٍ سابحة في الشفق الوردي للشمس الغاربة. وكان ثمة دخان ينبعث من مدخنة من إحدى تلك المباني، ليعلو متلوياً بكسل في الهواء الساكن.

قالت: «أين نحن إذن؟» لقد بدا وكأنهما في متاهة. وشعرت بالعزلة تكتنفهم إذ لم تر أية سيارات هناك. ولا شك ان هذا المكان غير مأهول.

قال وقد عادت السخرية إلى صوته: «هذا هو منزلي. منزل العائلة الذي حدثك عنه.»

سكت برهة ثم عاد يقول: «لقد صممته، يا جميلتي، على تناول الطعام في منزلي هذه الليلة، مستمتعين باستكشافنا المتبادل وحدنا، وأمل ان يوافقك هذا.»

الفصل الرابع

ساد صمت مزعج في السيارة، وتصلب جسد ميغ وجف فمهما.

تساءلت غير مصدقة، عما جعلها تصرف بكل تلك الحماقة. وعذبها هذا الخاطر. لماذا لم تستمع إلى ما دخلها من ريبة؟ ولماذا وثقت به إلى هذا الحد؟ هل لأنه أول رجل جذاب يهتم بها؟ ولامت نفسها بشدة، ولكن ما فائدة ذلك وقد أصبحت هنا الآن في شرك مخيف؟

لقد قال لها إن هذا هو بيته الذي يبعد أميالاً من أي مكان آخر... بينما هي لا تعرف حتى هذا المكان الآخر أين يكون. لقد قالت العنكبوت للذبابة (هل لك أن تتفضل إلى غرفة جلوسي؟) ولقد فعلت هي ذلك بالضبط فتحقق الكابوس. وتنقبضت يديها في حجرها.

قالت بصوت حاولت أن تحتفظ به هادئاً متزناً: «يبدو أنني فقدت شهيتي. هل لك أن تعييني إلى الفندق من فضلك؟»

و الساد صمت قصير هز جيروم مونتكورت بعده كتفيه وقد لمعت عيناه القاتمتان بالدعابة وكانه قد علم بالضبط ما يخفي هدوءها هذا من أفكار ومخاوف.

وقال برصانة: «طبعاً إذا كان هذا ما تفضلين. ولكن بيرث ستشعر بالمهانة وخيبة الأمل إذا أنت لم تتذوقى طعامها.»

فقالت تسأله: «بيرث؟ من هي هذه؟»

فأجاب: «إنها مدبرة المنزل، وهي تعيش هنا مع زوجها أوكتافيان و كانوا يعتنian بالمنزل والكرم منذر حيل أبي. أما الآن، فهما يعتنian بي». وأشار إلى المنزل قائلاً: «أنظري..» كان ثمة رجل قد خرج من الباب الأمامي ووقف يراقبهما بغضول وقد وضع يديه على خاصرتيه. كان معتدل الطول ممتنئ الجسم. وكان وجهه أسمراً مغضناً كقشرة جوزة، وقد وضع على شعره الأشيب قلنسوة. وكان له ساقان مقوستان وشاربان متهدلان. وشعرت ميغ في الحال بالإطمئنان يعود إليها بعد ما رأت أنه لا يشبه بحال، أولئك الأشخاص الذين يشتراكون في أعمال الخطف والاعتداء.

قال جيروم برقة: «هل ستتجاوزين بتناول الطعام على مائدتي الآن، أم تفضلين أن نأكل هنا في السيارة؟» اعترفت بينها وبين نفسها، بسخافة هذا الوضع، بينما كانت تنزل من السيارة لتسير بجانبه نحو المنزل وهي تقول بكرياء: «كله سواء، إنما كان يجب عليك أن تخبرني مسبقاً أننا قادمان إلى هنا.»

فأجاب: «ربما كانت تعوزني الجرأة خوفاً من أن ترفضني». وازداد صوته رقة وهو يستطرد قائلاً: «إنني في غاية الشوق إلى رؤيتك هذه الليلة..»

وبidalها هذا الجواب معقولاً، وحدّثتها نفسها أنه معقول إلى درجة ربما كان اتخذه عادة في تجارب سابقة، وابتداً قلبها يخفق بعنف. ولكنها تذكرت أنه من المؤكد أنها ليست أول امرأة تشعر بنبضها يتسارع، وبحرارتها ترتفع لدى رؤيتها الابتسامة في عينيه.

لقد كانت فعلاً حمقاء إذ ظلت أنه بحاجة للجوء إلى الغنف أو استعمال أي شكل من الأكراد. ذلك أن تصرفاته أكثر حذقاً ولباقة من كل هذا وإن كانت خطورتها واحدة. فهو مازال العنكبوت وما زالت هي الذبابة، وعليها ألا تنسي ذلك.

ولكن نسيجه العنكبوتي هذا كان ممتعاً.

كان المنزل مؤلفاً من طابقين، والسطح مغطى بالقرميد الأحمر. وكانت الجدران من الحجارة المصبورة باللون الأصفر الفاتح، بينما النوافذ زيتية اللون. وكانت ثمة شبكة فوق الممر المؤدي إلى الباب قد عرشت فوقها الورود.

دخلـا من الباب مباشرة إلى الغرفة الرئيسية في المنزل، وكان السقف منخفضاً ذات دعامات قائمة، والأرض مرصوفة. وفي أحد الجوانب، كان ثمة مدفأة كبيرة خالية، وعلى جانبي الغرفة قامت اويكتان مقابلتان من الجلد. ومقابل المدخل كان ثمة باب زجاجي يقود إلى باحة تالق بأحواض الزهور، بينما في الزاوية قام سلم حلزوني يقود إلى الطابق الأعلى.

أما في الطرف الآخر من الغرفة، فقد وضعت مائدة رائعة معدة لشخصين، وحولها ستة مقاعد عالية الظهر منجدة بالجلد. عدا عن خزانة كتب مملوءة، ومكتب مكدسة عليه الأوراق، لم يكن في القاعة أثاث آخر. وكان الانطباع العام، كما بدا لميغ وهي تنظر حولها، يوحي بجو من الرجلة الأخاذة إلى لمسات قليلة رقيقة.

وقالت تسأله وهي ترى مواد بناء وأواحـاً خشبية مكدسة في زاوية من الباحة: «هل هذا هو المشروع الذي تحدثت عنه؟»

فأومـا برأسه مجيئاً: «إنه واحد منها. لقد فكرت في تتمديد جانب الباحة خلف المنزل، مستغلـاً لذلك أحد مخازن الغلال محولاً إياه إلى مكان أعمل فيه، وأيضاً إلى غرف للضيوف. ولكنني غيرت رأيـي الآن، إذ أن اقتطاعي المساحة تلك التي أنا بحاجة إليها ستفسد منظر البناء..». قالت بلهجة حاولـت أن تجعلها عفوية: «هل تستقبل ضيوفاً بكثرة؟»

أجاب: «ليس حالياً، لأنـني كنت مشغولاً جداً». وسكت لحظة، ثم تابع يقول: «كان أول ما قمت به بعد عودتي إلى هنا، هو تغيير ظراز الطابق الأعلى. لقد أردت أن أبدأ من المطبخ...». وأشار إلى قنطرة حيث لمحـت ميغ منضدة وموقداً قديم الطراز، وتتابع: «ولكن بيـرث لم تسمح بذلك..». وعقبـت في أنـف ميغ رائحة شهـية ل الطعام بالثوم تتبـعـت من المطبخ. وقالـت: «أظـنـ أنـ أكثر الطباخـين يفضلـون الموارد المـالـوـفةـ».

كان أوكتافيان قد سبقـهما في الدخـولـ إلى المنزل، ليظهرـ الأنـ في بـابـ المـطـبـخـ عـابـساـ بـوقـارـ، بينما زوجـته خـلفـه تـحدـقـ من فـوقـ كـتـفـهـ، وـكـانـتـ بيـرـثـ أـطـولـ من زـوـجـهـ، وـكـانـتـ تـرـتـديـ ثـوبـاـ قـطـنـياـ مـنـقوـشاـ بـالـزـهـورـ. أـمـاـ شـعـرـهـ الـذـيـ خـطـهـ الشـيـبـ فـقـدـ كانـ مـعـقـودـاـ فـوـقـ رـأـسـهـ. وـكـانـتـ تـنـظـرـ إـلـىـ مـيـغـ وـقـدـ بـانـ الشـكـ فـيـ عـيـنـيـهـ.

سمـعـتـ مـيـغـ أوـكتـافـيانـ يـتـمـتـ بشـيءـ مـثـلـ (إـمـرـأـ انـكـلـيزـيةـ آـخـرـ)ـ وـلـكـنـ، زـبـماـ كـانـتـ مـخـطـئـةـ فـيـ فـهـمـ لـهـجـتـهـ الخـشـنةـ تـلـكـ. وـعـلـىـ كـلـ حـالـ، لـمـ يـكـنـ مـنـ شـائـنـاـ الـاهـتـمـامـ بـجـنـسـيـاتـ النـسـاءـ الـلـوـاتـيـ يـحـضـرـهـنـ جـيـرـوـمـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ، لـمـ تـكـنـ تـشـكـ فـيـ

إحضاره نساء إلى هنا مهما كان مقدار ازدحام وقته بالعمل.
وربما كان، بالعكس من مستخدميه، يميل إلى الأجنبية.
قال لها جيروم: «سيكون الطعام جاهزاً بعد لحظات.
أتريدين أن تشاهدني بقية غرف المنزل؟»

أجبت وهي تبتسم في ذيئن الوجهين الجافين عند باب
المطبخ: «نعم، سيسكون هذا رائعاً». وأضافت بالفرنسية:
«إن رائحة الطعام شهية جداً».

ولكن الملامح الجامدة لم تتغير. واستدارا، هما الاثنين،
داخلين إلى مكان عملهما. ولم يكن ينبيء عن وجودهما،
أثناء صعود ميع السلم خلف جيروم، سوى قرقة الأوانى.
وكان بسطة الدرج ضيقة محاطة بخزانات خشبية رائعة
الجمال مبنية في الجدار.

قال جيروم: «كانت هذه، من قبل، غرفة صغيرة مفتوحة
الواحدة على الأخرى، وهي الآن مخزن وبجانبه حمام
جديد». وفتح باباً في الجهة الأخرى من بسطة الدرج وهو
يتابع: «أما البقية فهي خاصة».

انتبهت ميع وهي تدخل الغرفة التي تحتل ثلثي الطابق
الأعلى تقريباً، إلى أن ليس ثمة إضافات غير ضرورية هنا
أيضاً. وكان يبدو أن الجدار الخلفي باكمله، من الزجاج
بحيث يظهر منظر الوادي المشجر والمنحدرات الشاهقة
خلفه.

وفي الطرف الأقصى من الغرفة، كانت هناك الكواكب في
السقف تضاعف من الإضاءة، وكان هناك ثمة منضدة يعمل
عليها جيروم قد غطى سطحها الفسيح بالتطبيقات والرسوم.
وعدا عن خزانة مكتبة مستطيلة تحوي أدراجاً عديدة، كان

السرير ذو الاتساع غير العادي هو القطعة الوحيدة من الأثاث
مصنوعاً من الخشب المحفور المزخرف عند الرأس ومغطى
بغطاء مزخرف من اللونين الأسود والذهبي.

وتراهى لميغ أن ثمة شيئاً من البربرية في هذه الغرفة
يتعهد جعل السرير هذا هو النقطة المركزية فيها، مما يوحى
بنوع من التصريح الشخصي برسالة فضلت هي أن تتجاهلها.
وبدلًا من ذلك، نقلت ناظريها إلى ذلك المنظر الخارجي
ذى الجمال الصاعق وأخذت تتأمله قائلة: «يا للروعة! إنني
أدرك الآن السبب في أنك جعلت الجدار كله نافذة واحدة».
وتقىد جيروم يقف بجانبها وهو يشير إلى الصخور
الشاهقة التي تكاد تلامس السماء، قائلًا: «هناك قائدة
أخرى لذلك، فهي في اتجاه الشرق تقريبًا. ولهذا فبامكانى
أن استمتع بمنظر الفجر وأنا في سريري». وسكت قليلاً ثم
تابع: «وإذا كان معى من أحب، فهذا منبع جيد للإلهام».
وغضبت ميع من نفسها وهي تشعر بالصورة التي
أثارتها كلماته هذه في نفسها تبعث التوهج إلى وجهها.
رفع جيروم يده ليلامس وجنتها برقة وهو يتمتم
بالفرنسية شيئاً.

لقالت ميع متلعمة: «إنني... إنني لا أفهم ما تقول».
وكان أنفاسها تتلاحق ويده تلامس شحمة أذنها بخفة
منحدرة إلى عنقها، لتتحول إلى رقبتها تحت شعرها الكث.
وشعرت بأن عليها أن توقف كل هذه الحركات حالاً. ولكن
شيئاً ما سرها في مكانها دون حراك.

قال: «إنه بيت من شعر التروبادور الغنائي، يا جميلتي،
وهي أغنية تدعى أغنية الفجر، وفيها يرثى الشاعر ليلته

مع حبيبته التي مرت سريعاً، ومال نحوها وهو يهمس بكلمات الأغنية تلك مترجمة (آه، يا ربى، آه، يا ربى، لقد أقبل الفجر سريعاً).

واشتد توهج وجه ميع. وحاولت أن تتحرك، أن تبتعد... ولكنها وجدت نفسها، دون أن تشعر، بين ذراعيه. وانحدر بنظراته يحدق في أعمق عينيها فبادلته النظارات بعينين رائعتين، وهي تفك في أن عليها أن تقاوم الآن، في هذه اللحظة. مهما كانت درجة تأثيره عليها.

وعند ذلك، سمع صوت بيرث من أسفل السلم ينادي: «عشاء جاهز يا سيد جيروم». وبهذا توارى التجاذب الذي لفهمها.

وبدت على شفتي جيروم ابتسامة ملتوية وهو يقول: «شمة شهية واحدة في نفس الوقت». وتناول يدها يطبع على راحتها قبلة سريعة بعثت الرجفة في جسدها، شاعرة بالخجل في الوقت نفسه.

كانت ترتجف في أعماقها، شاعرة بما يشبه الدوار وكانت ساقاها ضعيفتين وهي تنزل السلم الملتوى وعندما تعثرت قدمها مد يده يستدها قائلاً وفي صوته رنة خلاصته: «حاضرى». فقد كان يعلم تماماً ما الذي أحدثه في نفسها من اضطراب. لقد كان رجلاً فاتناً ذا خبرة هائلة بينما كانت هي عديمة الخبرة كلية.

حدثتها نفسها بأنه لا بد شعر بعدم خبرتها هذه، فظلتها قطعة من الكعك سرعان ما يلتهمها... وأسندت قبضتها على حاجز السلم. عليها أن تتوقف عن الاستسلام إلى مشاعرها

نحوه. فهى لن تحمل المزيد من الانحدار وازدردت ريقها، وشعرت أنها بحاجة حقاً إلى الطعام إذ أنها لم تتناول شيئاً منذ وقت طويل جداً... منذ وجبة الفطور.

إن تناول وجبة طعام حسنة، ستجدد قواها وتمنحها القدرة على التفكير في كيفية التعامل مع هذا الواقع المزري.

وعلى العائد، كانت بيرث تضع وعاء الحساء يتتساعد منه البخار، وبجانبه طبق الخبز. وأشارت برأسها إلى ميع وجروم للجلوس إلى المائدة، ثم ابتدأت تغرف من الحساء الدسم لتضعه في طبقيهما، مع الاكتثار منه في طبق ميع.

حدثت ميع نفسها، متهمة، بأن عطف هذه المرأة لم يظهر إلا في سكب الطعام، لتشهد، بعد أول ملعقة من هذا الحساء وضعتها في فمهما، بأن هذا الطعام لاعيب فيه، لقد كان الحساء لذيداً حقاً وذا نكهة غير عادية لم تستطع ميع معرفة كنهها.

وعندما سالت جروم عن ذلك، أجاب: «إنه حساء الثوم. هل أعجبك؟»

أجبت بصدق: «إنه رائع. أخبر بيرث بهذا من فضلك، لأننى لا أظنها تفهم كلامي إن أنا تحدثت إليها».

فقال بشيء من الاشمئزاز: «بل هي تفهم حدثك. إن بيرث وأوكتافيان قد أمضيا سنين طويلة في خدمة أسرتنا مما منحهما وضعياً ذا امتياز خاص فيهما. وأحياناً، هي وزوجها يستغلان هذا. فاعذرنيهما».

وخطر في بال ميع أنها، هي أيضاً، يمكنها أن تستغل هذا الواقع، محتاجة بعدم موافقة بيرث على وجودها هنا، لكي تنسحب بانتظام في الوقت المناسب.

ورفعت أطباق الحساء لتوضع مكانها أطباق لحوم دسمة مع سلطة الخضر بزيت الزيتون. قالت له ميغ متسائلة: «ظننتك تحدثت عن نوع من الطعام يسمى كاسوليه؟».

فابتسم لها قائلاً: «هذا سيأتي حالاً».

وكانت ميغ قد ابتدأت تشعر بأنها لن تستطيع أن تضع لقمة أخرى في فمها، عندما وصلت الكاسوليه موضوعة في طبق واسع. التي هي عبارة عن خليط من الفاصوليا واللحم والسبحق والثوم.

وهكذا، أتت على ملء طبق كامل من هذا الطعام. ومع الخبز أيضاً، رافضة طبقاً آخر بأسف. وبعد ذلك، جيء بالحلوى التي كانت عبارة عن شرائح التفاح المطهوة على نار حقيقة.

وأخيراً، قالت ميغ وهي تضع الشوكة من يدها: «لا أظلفني، بعد الذي أكلته، أستطيع الحراك».

ضحك قائلاً: «ولتكن ستتحرkin، كل ما في الأمر أنك غير متمننة على أكل كميات كبيرة».

قالت: «عند انتهاء إقامتي في فرنسا سأكون كالبرميل».

فقال: «هذا يعتمد على مدة إقامتك».

إنه، بالطبع، يظنها تقوم بإجازة تقليدية هنا. وتساءلت مما سيقوله لو أنها اطلعته على أنها ستبقى هنا شهراً كاملاً. ولكنها لم تكن تريد أن تخبره بذلك.

جاءت بيرث بالقهوة لتضعها على المائدة، ثم تنسحب من المكان، ونظرت إليها ميغ وقد اختلطت في نفسها المشاعر. قال جيروم الذي أدرك من ملامحها، ما يدور في ذهنها،

بدقة أثارت غيظها: «إنها، وزوجها يسكنان في مسكن يقوم في الناحية الأخرى من المطبخ ولن يسمعاك إلا إذا صرخت بصوت عالٍ».

قالت باقتضاب: «أشكرك. إن هذا يبعث على الاطمئنان».

فقال: «ولكن ربما أنت لا تريدين أن تصرخي..» وتصرخ وجه ميغ لسماعها هذه الكلمات بما تتضمنه من معنى.

وخطر ببالها أنه لو كانت مارغوت هي الموجودة هنا بدلاً منها، لما تصرخ وجهها كالحمقى، بل كانت ستسارع بجواب فكه، مثير، إذ أنها تكون قد خططت مسبقاً، لنهاية هذا المساء. ولكنها ليست نفس الخطة التي توصلت إليها ميغ...

ونهض عن كرسيه واستدار حول المائدة متوجهاً نحوها وفي حركة رشيقه، وجدت ميغ نفسها ترتفع عن الكرسي بين ذراعيه، ثم تنقل عبر القاعة، إلى إحدى الأريكتين.

وأخذت ميغ تجاهد للافلات منه وهي تصربه على صدره بقبضتها وتنقول لاهثة: «دعوني... أتركني».

فقال وهو يجلس بجانبها ثم يأخذها بين ذراعيه يحتضنها بشدة مانعاً إياها من الحركة: «حالاً، عندما أنهي الاختبار..» كانت قد جرحت كبرياءه بازدرائها ذاك، وهو الآن يريد معاقبتها برد الاعتبار لنفسه.

حسناً، يمكنها أن تبطل اعتقاده بأنها فريسة سهلة، ثمرة ناضجة على وشك أن تسقط في يده الممدودة.

وفي النهاية، قال متأنها: «مارغريت... تباً، ليست هذه هي الطريقة المناسبة».

ونظر في عينيها، ثم إلى تقاطيع وجهها وهو يتمتم: «إنك جميلة... كل شيء فيك جميل».

وتصاعد رنين الهاتف فجأة يخترق هذا السكون الحافل بالاحاسيس، المحيط بهما. وكأنما قد دخل الغرفة شخص ما. وشدت ميغ نفسها من بين ذراعيه لتهب واقفة على قدميها وقد عاد إليها وعيها بأكمله.

وعاد يمد ذراعيه نحوها، ولكنها دفعته ببعديها قائلاً: «كلا... كلا. إذهب لتردد على الهاتف، وإلا سمعت بيرث رنيه وجاءت لتجيب بنفسها. أليس كذلك؟»

أوماً وهو يسير متباطنًا نحو المكتب حيث الهاتف ليأخذ السماعة قائلاً باختصار: «مونتكورت». ثم استمع ببرهة وقد تجلى الجمود على وجهه. وما لبث أن رق صوته بشكل ملحوظ وهو يقول: «أهذا أنت؟ نعم، لقد عدت هذا المساء». واستمع لحظة، ثم استطرد بصوت منخفض: «لا أستطيع الكلام الآن، يا عزيزتي، هذا مستحيل. سنتحدث غداً. نعم، هذا وعد مني».

وشعرت ميغ بأن تلك الرقة في صوته، تلسعها كالسياط. لقد كانت منذ لحظة بين ذراعيه. وشعرت باشمئاز من نفسها وهي ترى أنها كانت على وشك أن تفقد كل احترام لنفسها مع فقدانها ضبط النفس ذاك. وهذا هي تسمعه يتحدث إلى امرأة أخرى... إلى امرأة يبدو واضحًا أنه على علاقة حميمة بها... امرأة كان على وشك خيانتها، معها.

لقد تأكدت الآن بوضوح تام، من قلة ما تعرفه عنه، كما اتضحت لها ضعف مركزها في حياته والذي كان كسحابة عابرة. إنه درس مؤلم حقاً، ولكنه كان ضروريًا لكي تتعلم. كان جيروم يقول: «نعم، قريباً جداً. لقد أعطيتك كلمتي. إلى اللقاء».

وعندما سمعته يضع السماعة مكانها، استدارت إليه تقول

بصوت حاولت جهدها أن يبدو هادئاً: «يمكنك أن تعود فتطلبها حالاً، لأنني خارجة الآن. هل هناك سيارات أجرة يمكنني طلبها هاتفياً؟»

فتقدم يقف خلفها آخذًا إيابها بين ذراعيه بشدة، وهو يقول بهدوء: «إنني أسف. لم أكن متوقعاً أني اتصال هاتفى هذا المساء، إذ لم يكن ثمة من يعلم بعودتى».

وفكرت بمرارة، وهي تتملص من بين ذراعيه، في ظنه بأن هذا العذر يغير من الواقع شيئاً ربما كانت تلك الفتاة لا تستطيع الانتظار.

وقالت له برقة: «من الواضح أن جاذبيتك لا تقاوم. ساترك تتبع حياتك المليئة، بينما استمتع أنا ببقية إجازتي».

وأنسك جيروم ذراعها يديرها نحوه وهو يقول: «إنها ليست كما تظنين. إنها مجرد صديقة، وهذا كل شيء». هزت ميغ رأسها قائلة وهي تتجنب نظراته العنيفة: «ليس هذا في الحقيقة موضع اهتمام مني. لقد أمضيت أمسية بهيجـة، ولكنها انتهـت الآن، وعلىـي أن أعود إلى الفندق، إذ علىـي أن أباشر نشاطـي مبـكرة».

قال بصوت أـجيـش: «لا تذهبـي إذنـي. إـبـقـيـ هناـ مـعـيـ ياـ مـارـغـريـتـ، وـرـاقـبـيـ بـزوـغـ الفـجـرـ مـعـيـ».

وخلصت نفسها من قبضـتهـ وهي تقول بـحـزمـ: «كـلاـ. لاـ... لاـ أـسـتـطـعـ».

فالـحـ علىـهاـ بـقولـهـ: «لـمـ لاـ، ماـ دـمـناـ نـحـنـ الـاثـنـيـنـ نـرـيدـ ذلكـ؟ـ»

فـأـجـابـتـ بـبـطـهـ وهيـ تـخـتـارـ كـلـمـاتـهـ بـعـنـايـةـ: «لـأـنـكـ سـتـكـونـ عـقـدـةـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـ، أـنـاـ لـسـتـ بـحـاجـةـ إـلـيـهاـ»، وـحاـولـتـ أـنـ

تبسم وهي تتبع قائلة: «الحياة البسيطة، تذكر ما سبق وتحدثنا به». فهز رأسه لاوياً شفتيه وهو يقول: «أوه، كلا يا مارغريت. ليس ثمة شيء بسيط معك يا جميلتي». واشتد صوته وهو يتبع: «ولماذا وافقت على تناول العشاء معى هذا المساء، إذن؟» نظرت إلى الأرض وهي تقول: «كان ذلك خطأ مني... لم أكن أريد أن أبقى بمفردي هذا المساء. لقد كان يوماً شاقاً آخر جنى عن توالي نوعاً ما مما جعلني أتصرف بطريقة منافية لطبيعتي..».

وأطلق ضحكة مفاجئة كان لها صدى يشع في هذه الغرفة التي تسودها الظلال، ثم قال: «على العكس أظنتني عرفتك تماماً. إذ لو لا تلك المقاطعة الهاتفية التي جاءت في وقت غير ملائم، لكنت الآن معى يا جميلتي، وأنت تعرفيين هذا، كما أعرفه أنا أيضاً، ولكن إذهببي إذا كنت تودين ذلك. وأرجو المغفرة إذا كنت لن أرافك شخصياً». ومشى نحو المطبخ وهو ينادي بصوت عال: «أوكتافيان..». وبعد برهة، ظهر الرجل وهو يمسح فمه بظاهر يده. وألقى على مية نظرة عدائية من تحت حاجبيه الكثين، ثم أدار نظرة استفهام نحو مخدومه. وأخرج هذا مفاتيح السيارة من جيبه، ثم ألقاها إليه قائلاً باقتضاب: «إن الآنسة سترحل. خذها إلى فندق الأوبرج دي سورس دي بيرون من فضلك..».

وأومأ أوكتافيان برأسه بهدوء، ثم أحضر قلنسوته ووضعها على رأسه، ثم خرج إلى حيث السيارة.

وتناولت مية حقيبتها، ثم نظرت إلى جيروم قائلة وقد أحدث الألم غصة في حلقها: «هل يمكن أن نقول... وداعاً؟» كان وجهه القاتم جامد الملamus وهو يجيب بهدوء: «بل سنقول، إلى اللقاء. لأن هذه هي البداية فقط». وأطلق قهقهة وهو يتبع: «لأنني لم أنته معك بعد..» واعتصر قلبها وهي تفكر في أن هذا ما يظننه هو. ومشت نحو الباب رافعة الرأس محاولة ألا تسرع في مشيتها، يتبعها صوت الساخر يقول: «نامي جيداً يا عزيزتي، هذا إذا استطعت..».

ولم ينظر إليها أوكتافيان وهي تصعد إلى السيارة، بل أدار المحرك صاعداً بالستروان إلى الطريق. وتقبضت يداً مية في حجرها، فقد كانت ما تزال غير مصدقة ما حدث... أو ما كانت ستسمح هي بحدوثه. وشعرت بالارتباك والتعاسة. لا بد أنها تصرفت بحمامة، ولكنها عرفت الآن ما هي احساسها.

ولكن كل هذا قد ذهب الآن وتلاشى كما تتلاشى الأحلام بمجيء الصباح. ولكن، عليها أن تكون الآن مسؤولة لخلاصها من هذا. ولكن الألم في أعماقها كان له رأي آخر. وساورها شعور عميق بالوحشة، أو شكت معه على البكاء وهي تهتف في سرها (يا حظي الحسن، دع الفجر #زع في حياتي بسرعة.).

الفصل الخامس

أنتهت ميع آخر لقمة من فطورها، ثم عادت تملأ غنجانها قهوة من جديد. لقد حاسبت الفندق وأحضر لها الخادم حقيبتها إلى غرفة الاستقبال. ولم يبق سوى وصول سيارتها المستأجرة لكي تتابع طريقها.

كانت أثناء تلك الليلة الطويلة القلقة، قد عزمت أمرها على إلغاء قرارها السابق بالترفج على أنحاء المنطقة، والذهاب بدلاً من ذلك، إلى هاوت أرينبياك رأساً، حيث ستمضي في تلك العزلة، شهرأ كما وعدت، لتعود بعد ذلك إلى إنكلترا بالسلامة، كما كانت ترجو.

وهي، بعد ذلك لن تعود أبداً إلى اتحال شخصية مارغوت و هويتها، مرة أخرى... أبداً. و عدت شفتها وهي تفكير في ذلك. لقد قادها هذا العمل إلى طريق التعasse، و عليها الآن ان تحاول نسيان ما جرى لها في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة بقدر ما تستطيع، وهي تعرف مسبقاً ان هذالن يكون سهلاً.

لقد انتهت إلى الأبد، تلك الفتاة عديمة الخبرة التي خرجت من تولوز، لتحتل مكانها امرأة قد استيقظت رغباتها لأول مرة في حياتها، ولكنها رغبات لن يرضيها رجل مثل جيروم مونتكورت... لقد جمعها القدر بغرير بالغ المهارة في طرق الإغراء، رجل يتنقل من امرأة إلى أخرى. إنها تستحق أفضل من ذلك، فهي لا تريد ان تسلب امرأة أخرى رجلها. إنها ليست مارغوت.

ولكن، رغم كل هذه الأفكار الايجابية المهدئة، وجدت نفسها عاجزة عن نسيان تلك الفتاة التي اتصلت هاتفيًا الليلة الماضية. إنها منقتها المجهولة... وارتسمت على فمها ابتسامة ساخرة... أتراء هذا هو السبب في أنها لا تستطيع نفيها من ذهنها؟

أما بالنسبة إلى جيروم مونتكورت... حسناً، لقد خرج من حياتها الآن دون أي ضرر حقيقي ما عدا، بالطبع، الضرر الذي أصاب كبريه الرجولة فيه. لقد تضايقت من تصرفه نحوها عندما تركته والذي وصل إلى ما يشكل تهديداً غامضاً، ولكن ربما كان الأمر كله هو أنه لم يتعد الرفض من امرأة. وتنهدت وهي تفكر في أنها، على كل حال، ليست من نوع النساء ذوات العلاقات العابرة فهي تبحث عن الالتزام عند الطرفين. ولكن جيروم مونتكورت ليس من هذا النوع. مع أنه ليس بإمكانها أبداً أن تتذكره شعوره نحوها مهما حاولت. وذلك بالعكس من اوكتافيان الذي لم ينطق بكلمة طيلة الطريق إلى الفندق، مما يدل على شعوره العدائى نحوها، و ذلك إلى ان وصلا، ونزلت هي من السيارة، عند ذلك قال لها بلهجة مهينة: «انكليلزية؟ عودي إلى بلادك واتركينا بسلام».

ولم يكن أحب إليها في الحقيقة، من العودة إلى بلادها، ولكنها سبق وتعهدت بهذا الأمر ولا يمكنها التراجع. واقترب النادل منها يقول: «لقد وصلت سيارتك، يا آنسة». وابتسمت شاكرة، ورشفت بقية قهوتها ثم نهضت متوجهة إلى غرفة الاستقبال، التisser في مكانها وهي تحدق ذاته في ذلك الذي كان واقفاً بانتظارها.

وبادرها قائلاً: «صباح الخير يا آنسة». وكانت عيناه تتأملانها باعجاب في تفورتها الضيقة العاجية اللون والتي تتماشى مع قميصها القصير الكمرين. وتابع قائلاً: «أراك ارتديت ملابس ملائمة للجو الدافئ هذا النهار».

فقالت تسأله بخشونة: «ما الذي تفعله هنا؟» فأجاب وهو ينظر في ساعته: «أريد أن أخذك إلى هاوت أرينياك فقد قلت إنك ستزاولين نشاطك مبكرة».

فأجابت وهي تحاول أن تتمالك رباطة جأشها: «هذا صحيح، ولكن ليس معك».

فقال يذكرها: «ولكنني حذرتك الليلة الماضية من أن علاقتنا لم تنته بعد».

قالت باقتضاب: «نعم، أذكر ذلك». وخطر لها خاطر مفاجيء فتابعت تسأله: «وكيف علمت أنني ذاهبة إلى هاوت أرينياك؟»

فأجاب: «لأن هذا كان العنوان الموضوع على أمتعتك». وبهتت وهي تفكر في أن هذا صحيح، وقالت له: «إنك نكي، ولكن هذا لا يعني أنني سأقبل توسيلك لي أو حتى قضاء دقيقة واحدة في صحبتك. أنني أريد أن أذهب إلى هاوت أرينياك بنفسي».

قال مداعباً: «إن المسافة طويلة إلى هناك، حتى ولو ذهبت بخط مستقيم كما يطير الغراب».

فأجابت: «ولكنني لن أذهب كالغراب. إن سيارتني المستأجرة ستصل في أية لحظة».

فهز جيروم رأسه قائلاً: «كلا، مع الأسف، فقد ألغيت أنا إرسال السيارة تلك إليك».

وصرخت ميغ: « فعلت ماذا؟» وانتبهت إلى الرؤوس تلتفت ناحيتها من أنحاء المكان، بينما لمعت عيناً موظفة الاستقبال من وراء مكتبها.

فأجاب: «لقد أخبرتهم أنه لم يعد ثمة حاجة إليها. وسيكون عليك ان تملأ التقرير الخاص بذلك الحادث، ولكن هذا يمكنك تأديته في أي وقت يناسبك. وثمة فرع لهم في آليبي».

فقالت بانفعال: «لا يهمني حتى ولو كان لهم فرع في القمر. ليس لك الحق... ليس لك الحق مطلقاً في....» فقاطعها: «هل لنا ان نتحدث في هذا الشأن في الطريق؟» وأمسك بذراعها يقودها خارجاً بها من المبني عابراً الباحة وهو يتبع: «ان خالتك تنتظرنا للغداء».

فسألته: «خالتى؟» وكانت على وشك ان تقول، أية حالة تلك لو لا أنها أمسكت نفسها وهي تشهد بعده إذ كادت تنسى نفسها. وسألته: «كيف عرفت بذلك؟»

فأجاب: «لأن السيدة دي بريسو هي من علائي. وأنها أضع التخطيطات الإصلاحية في قصرها. وهو المشروع الذي سبق وحدثك عنه». وسكت برهة مانحاً إياها الفرصة لاستيعاب ذلك، ثم استطرد: «لقد حدثني عنك بكثرة، وفي الواقع كانت قد طلبت مني إحضارك من المطار غداً. ولكنها سرت حين علمت إنك ستصلين إليها سالمة قبل الموعد بيوم». وسكت لحظة مرة أخرى ثم عاد يقول: «وبجانب هذا، فإنه من غير المعقول أن يكون ثمة اثنان باسم مارغوت تراننت».

وفكرت ميغ في نفسها ساخرة، إن هذا ما يظننه هو ...

وقالت ببطء: «إذن، لا بد أنك قد علمت... ليلة أمس...» وسكتت.

وأوما برأسه قائلًا: «عرفت من أنت والجهة التي تقصدينها. وكل ذلك من تلك البطاقات الملصقة على أمتعتك.»

فقالت: «ومع هذا، لم تقل شيئاً». وعادت إلى مخبلتها صورته تلك واقفاً دون حراك بجانب الطريق، يبدو أنه لم يكن مسروراً بذلك.

وهز جيروم كتفيه دون اكتئاف قائلًا: «فضلت، من باب الفكاهة ألا أفعل ذلك لاستمتع ببرؤية ما قد يحدث.». وسكت تاركاً إياها التفكير في ما قال، ثم عاد يتابع: «وأنت أيضًا لم تكوني صريحة تماماً، يا مارغريت.»

فاحمر وجهها وهي تقول: «ليس عليَّ ان أعرض تاريخ حياتي أمام غريب». وسكتت لحظة، ثم عادت تقول بنوع من المعاكسة: «هذا إلى أنني ظلنت، وليت ظنني كان صحيحاً، أنني لن أراك مرة أخرى أبداً.»

قال بلطف: «ها قد وصلنا». وفتح لها باب السيارة بآدب مبالغ فيه وهو يقول: «كان يجب أن تستمعي إلى الليلة الماضية.»

قالت: «لقد جاء دورك الآن لتستمع إلى... قبل أن أصعد إلى السيارة.» وألقت عليه نظرة باردة صريحة وهي تلاحظ ملابسه الأنثوية، ينطالة الجينز الجيد التفصيل وقميصه الأزرق القطني المفتوح عند الصدر. وشعرت بغصة في حلقها وقد خنقتها المشاعر.

قالت وهي تزيرد ريقها: «إن الأمس قد انتهى، بالنسبة

إلى. وبكلمة أخرى انتي أعتبره وكأنه لم يكن. فانا هنا للعمل فقط. لاكون مرافقة للسيدة دي بريسو وأنا لا أريد...» وسكتت متربدة.

فقال يكمل لها كلامها: «لا تريدين تعقيدات؟»

أجبت بحزن: «بالضبط. إنني سأقوم بعملي بينما تقوم أنت بعملك، ولا شيء غير ذلك.»

فقال وهو يشملها بنظره: «ربما ليس هذا ما أريده أنا.» كانت نظراته تطوف بين وجهها وذراعيها وكأنه يذكرها بالوقت الذي كانت فيه بين ذراعيه في الليلة الماضية... وأحسست لهذه الذكرى بشعلة حارقة في أعماقها. وأدركت، فزعة، ما يقصد. فأحمدت شعورها هذا بسرعة وهي تقول: «إذن، فهذا أمر صعب، يا سيدى. لأنني متأكدة من ان خالتى لا تريدى منى الإكثار من المقابلات بأى شكل، في الحقيقة، لو أنتى أعلمتها بما كان منك، ربما أخذت تفكر في استخدام مهندس سواك.»

ضحك وهو يقول: «أتهدديني يا جميلتي؟ إنني لا أتصحك بذلك. فانا لست في هاوت أرينياك بصفتي المهنية. فانا كما سبق وأخبرتك، في إجازة حالياً، وخالتك هي صديقة قديمة عزيزة على. وعملي عندها هو مسألة صداقة ومحبة. إذن، فعليك ان تتقبلني حضوري، يا مارغريت، سواء شئت أم أبيت.»

سالته وهي تتحرك بقلق: «إلى متى؟»

فنظر إليها متأملاً ثم قال: «حسب ما يستلزمه الوقت.»

سالته بخشونة: «ماذا تقصد؟»

بدأ الغموض في عينيه وهو يجيب: «إنها بحاجة إلينا،

نحو الاثنين، يا مارغريت، وهذا هو المهم. والآن، هل لك
ان تصعدني إلى السيارة؟ أم انك تفضلين ان نقى واقفين
هكذا إلى ان تصيينا ضربة شمس؟»

صعدت إلى السيارة متمهلة وهي تفك ساخرة، بينما
السيارة تتحرك، في ان شرك العنكبوت الذي ينشره جيرروم
مونتكورت قد انتشر بشكل واسع كما يبدو.

وهذا سيجعل هذا الشهر، أطول شهر في حياتها.
وصلنا إلى هاوت أرينياك قبل الظهر مباشرة، وكانت
الرحلة مليئة بالتوتر. لم يدر ببالهما الكثير من الأحاديث.
لقد كان جيرروم يوجه انتباها، باب، إلى المناظر التي
يمران بها، مشيراً إلى الأماكن الهامة التي يجتازانها.
وكانت إجابات ميج مختصرة، غالباً، ولم تسمح لنفسها
باظهار أي اهتمام حقيقي إلا عند وصولهما إلى قرية
أرينياك وهي التي يطلق اسمها على القصر.

كانت عبارة عن مجموعة صغيرة من المنازل قائمة على
منعطف النهر. وكانت المنازل مبنية من حجارة مرشوشة
باللون الوردي، ومعبد ضخم من القرون الوسطى، تحيط به
أشجار الدلب.

وأشار إليها جيرروم قائلاً: «لقد بني هذا المعبد أحدهم
تلخيداً لذكرى نصرهم على الكاثار.»

فقالت وهي ترتجف: «لقد قرأت في ذلك الكتاب أنه قد
دارت ثمة معارك مخيفة في جميع الأنحاء..»

خلف القرية، كانت تقوم لوحة حائلة اللون شبه مدفونة
في الأعشاب المرتفعة على جانب الطريق، تشير إلى جسر
أثري. وكان ثمة، دوماً، شيء ما بالنسبة إلى عبور جسر،

كما تراءى لميغ. بحيث لا يمكن الشخص العابر من العودة،
كما تقول بعض الأساطير.

وهذا كان، بالضبط، وضعها الحالى. فهي عندما تصل
إلى القصر، سيكون عليها طبعاً، ان تقوم بالدور الذي سبق
ووافقت على القيام به، مهما كان رأيها في حقاره هذا
الدور. فهي الآن مارغوت.

ولكنها صفت بينها وبين نفسها، أن لا تدع السيدة دي
بريسو تعلم بذلك أو تتالم من هذه الخديعة.

وهذا الرجل الذي يجلس بجانبها لن يعلم هو أيضاً.
وخلف الجسر، كانت الأشجار متشابكة على بعضها
البعض مشكلة نفقاً رقطته الشمس. وكان الطريق يصعد
بصورة ملحوظة. وأمامها كانت تبدو بوابات حديدية
مفتوحة بين أعمدة حجرية ضخمة متوجة بتماثيل نسور.
دخل جيرروم بالسيارة من خلال البوابات في طريق واسع
إنما مهملاً وقد نمت في وسطه الأعشاب. وكانت الأشجار
على جانبيه في حاجة إلى قطع وتشذيب. والشجيرات تنمو
بغوضوية تامة.

وعندما استدارا في منعطف طويل، أبطأ جيرروم بالسيارة
يرفق وهو يقول: «إن أجمل منظر يبدأ من هنا.»

ولم يكن مبالغأً كما أدرك ميغ وهي تتحنى إلى الأمام
تشهق مسورة. كان قصر هاوت أرينياك منزلًا ريفياً رائعاً
قائماً على مرتفع وسط حديقة كبيرة مشبهاً بجزيرة من
الحجر وسط بحر من الأعشاب. كان منزلًا مستطيل الشكل،
ذات ثلاثة طوابق يقوم برج في كل ركن منه، وعند الشرفات
الواسعة المحيطة به. وكان لون قرميد السطح الحالئ،

يتناقض مع لون الجدران الحجرية المغبيرة، وكانت النوافذ المستطيلة ذات مصاريع بيضاء أشبه بأجفان العيون وكانتا أصاب النعاس هذا المنزل من جراء أشعة الشمس. أوقف جيروم السيارة على الحصى تحت الشرفة. مشيراً إلى ميغ ان تسبقه صاعدة الدرج العريض الذي يقود إلى المدخل الرئيسي.

كان الهواء حاراً خائقاً، وارتفع صدى وطء حذائها ذي الكعب العالي على الباحة المرصوفة. وعندما اقتربت، رأت ان ما قاله جيروم عن أحسن منظر، كان فيه بعض التهكم. فقد كان القصر بمجموعه يبدو أجمل شكلاً من بعيد. أما عن قرب، فقد كان واضحاً ان الجدران بحاجة إلى إعادة طلاء، كما ان العديد من مصاريع النوافذ والأبواب في الطابق الأرضي كانت متدهلة وبحاجة إلى إصلاح.

في الواقع، كان كل شيء متهاكاً وكاد يأتي عليه الزمن. وفكرت ميغ بازدراء في هذا الإرث الذي تنتظره مارغوت والذي لا يبدو عليه أنه ثروة مضمونة تستحق الذكر. وعندما وصلت إلى الباب الضخم، فتح أمامها لتجد نفسها أمام امرأة صغيرة الحجم في ثوب قاتم وعيناها تشعاً مرحبة بها.

قالت المرأة: «تفضلي بالدخول يا آنسة. إن السيدة طلبت مني انتظارك». وتجاوزتها بنظرها اللتسع ابتسامتها قائلة: «السيد جيروم؟»

فقال: «كيف حالك، يا فيليبيين؟» ونظر إلى ميغ مستطرداً: «هذه هي السيدة لانج يا مارغوت التي تدير المنزل هنا.»

فكرت ميغ، ورائحة رطوبة خفيفة تنتشر في المكان، في ما يمكن لهذه المرأة عمله ازاء هذا السقف البالغ الارتفاع والذي كانت تغطيه رسوم مختلفة باهته. وكانت الجدران مغطاة بالواح خشبية قذرة، ومغطاة بصورة يبدو أنها لوحتان تمثل أسلاف السيدة دي بريسو دون شك. وكانت هذه الأفكار تجول في ذهن ميغ وهي تسير معهما نحو باب بمصارعين، فتحتها فيليبيين وهي تعلن: «لقد وصلت، أخيراً الآنسة مارغوت، يا سيدتي.»

دخلت ميغ الغرفة، وهي تجاهد للتغلب على ذعرها، لتتجد نفسها في غرفة استقبال واسعة تشرف على الحدائق الخلفية. وكانت الأبواب الفرنسية الطراز التي تعود إلى الشرق نصف مفتوحة لكي تمنع دخول أشعة الشمس الحادة. وكان على ميغ ان تحدّ النظر لكي يمكنها رؤية مضيقها.

كانت مارغريت دي بريسو جالسة على مقعد منجد بالساتان المخطط، قرب المدفأة الرخامية الخالية. وكانت ذات جسد منتصب نوعاً ما، مرتدية ثوباً كھلياً من الحرير وصففت شعرها الأبيض كالثلج عالياً فوق رأسها. وكانت تضع على عينيها نظارة داكنة اللون، كما كان ثمة عصام من الخيزران ذات مقبض فضي مسندة إلى كرسيها.

وبسطت لها يدها مرحبة وهي تقول: «أهلًا بك في هاوت أريينياك يا ابنتي العزيزة». كان صوتها واضحًا حازماً بعكس مظهرها. وتابت تخطاب مدبرة المنزل: «دعني شيئاً من النور يدخل يا فيليبيين، من فضلك.»

فتحت المرأة الأبواب ليتدفق نور الشمس إلى الداخل

ليظهر الفخامة الخابية للغرفة. وكانت السيدة ما زالت قابضة بشدة على يد ميغ، لتجذبها، بعد ذلك إليها تختضنها بسرعة واضعة الخد على الخد.

قالت وهي تتنهد بضعف: «مضى وقت طويل منذ رأيتك لأخر مرة، يا عزيزتي... طويل جداً وأنا ألوم نفسي لذلك لأنني وأمك، لم نكن قط صديقتين، وبعد وفاة أبيك العزيز، لم أحافظ أنا على مداومة الاتصال ببيننا وهذا ما آسف له الآن بعد هذا الزمن الطويل،وها ان غياب مرافقتي سيلفي قد منعني فرصة لسد هذه الفجوة التي حدثت ببيننا.»

واستعاد ذهن ميغ صدى كلمات زوجة أبيها ايريس الحاقدة وهي تقول (إنها لم تحبني قط. فهي كانت تعتقد على الدوام بأنني لم أكن أهلاً لابن اختها المحبوب.)

وقالت ميغ برقة: «إنني أقدر شعورك هذا». واشتدت أصابع السيدة دي بريسو على أصابع ميغ وهي تقول: «هل لنا أن نتخلى، إذن عن ادعائنا الأحمق بأننا نتذكر بعضنا البعض، ونبداً تعارفنا من جديد منذ هذه اللحظة؟»

فأوسمات ميغ برأسها قائلة: «إنني... إنني أحب ذلك، يا سيدتي.»

وأشرق الوجه النحيل بالابتسام وهي تقول: «إذن، ربما من الأفضل، إكراماً لأبيك، ان تدعيني عمتى كما كان يفعل هو.»

وغمرت ميغ الكآبة وعاودها الشعور بالذنب وهي تجيب متكلفة الابتسام: «صاحب هذا طبعاً.» ونظرت السيدة إلى جيروم قائلة: «إنها فاتنة، أليس كذلك

يا عزيزي؟ إنني شاكرة لك كرم أخلاقك في إحضارها إلىـ».

فأخذ يدها يقبلها قائلاً: «صدقيني ان هذا كان مبعث سروري..» وارتقت عيناه إلى عيني ميغ بنظره لا تعبر عن شيء، بينما تورّد وجهها خجلاً.

فقالت السيدة بصوت منخفض ذي معنى: «أرجو ذلك. وإنني أعتمد عليك، يا جيروم، في الاتدع مارغوت تشعر بالملل أثناء مكوثها هنا.» واستدارت نحو ميغ متابعة: «لقد كان ضد فكري في دعوتك، يا عزيزتي وطبعاً، كانت له وجهة نظر في ذلك. وهو ان من الصعب ان ننتظر من فتاة شابة مفعمة بالحيوية، أن تترك حياتها الملائمة، لتمضي شهراً هادئاً في الريف.»

فرفعت ميغ وجهها قائلة: «أحقاً كان هذا رأي السيد مونتكورت؟ ولكنه ليس رأيي أنا. فأنا سعيدة بأن أكون معك يا... عمتى.»

فأخذت السيدة يد ميغ تربّت عليها قائلة: «هل سمعت، يا جيروم؟ علينا ان نجعلها تمضي وقتاً طيباً.»

فغضت ميغ شفتها قائلة: «إنني لست بحاجة إلى كل هذه العناية.» وبيان في صوتها اليأس وهي تستطرد: «كوني عضواً في الأسرة، يكفييني تماماً. وأنا بالطبع، لا أريد ان أزعج السيد مونتكورت أكثر من ذلك. فأنا أعلم ان وقته مليء بالعمل.» وضفت جملتها الأخيرة معنى ما، لتجعله يفهم من ورائها ما يشاء، وهي تنظر إلى فمه الحازم وهو يلتوي بشكل يظهر به ادراكه ما لمحت به.

قالت السيدة: «ولكن سيكون لديك كثير من الفراغ لكي

تملئه، ذلك ان طببى قد أصر على، بكل حماقة بالراحة صباحاً وبعد الظهر. «
فاجابت ميغ بلهجة حاسمة: «سأكون على ما يرام. أعدك بذلك.» وابتسمت للمرأة العجوز وهي تستطرد قائلاً: «كل شيء هنا جديد بالنسبة إلى، وأنا متأكدة من اننى سأحب الكثير مما يشغل وقتى.»

قال جيروم بلطف: «وذلك بتتبع آثار الكاثار على الأغلب.» وانتقلت نظراته إلى السيدة قائلة: «إن مرافقتك الجديدة، أيتها العزيزة، تدرس تاريخ غزو الكاثار.» رفعت السيدة حاجبها وهي تقول: «إنها فترة من التاريخ كانت محزنة ودموية، وهذا اهتمام غريب أيضاً، بالنسبة لفتاة صغيرة حلوة.» وأردفت مداعبة: «إن ما أفهمه هو ان اهتمامها ينبغي ان ينصب على أغاني التروبيادور الغرامية.»

قال جيروم ببرقة باللغة: «من الواضح ان الآنسة مارغوت تخفي، في الأعماق، شيئاً غير متوقع. واننى لاتسأل عما تخترنه لنا من الغرائب.» وسكت برهة، ثم عاد يقول: «عدا، طبعاً لغتها الفرنسية الممتازة.»

وهافت السيدة مذهولة: «أحقاً؟ ولكن رسالة أمك أوضحت تماماً ان ليس في إمكانك النطق بكلمة فرنسية واحدة.»

وغضت ميغ بريقيها وهي تقول متصنعة العقوية في لهجتها: «إنها لم تسألني، في الواقع. إذ ان علاماتي المدرسية ما كانت يوماً جيدة بالنسبة إلى كل تلك الأفعال الشاذة.» وهزت كتفيها لاوية وجهها بشكل مضحك وهي

تتابع: «وقد تكون ظلت ان الأمر لم يتغير بالنسبة إلى لغتي الفرنسية.»

فقال جيروم: «إنها غلطة شنيعة كما أرى بالنسبة إليك يا جميلتي، إذ لا يمكن لشيء أبداً أن يؤخذ بالظن.» وظهر التهكم على وجهه وهو يتتابع: «أظن ان الشهر الذي نستقبله سيكون مليئاً بالمرح والفائدة.»

فهتفت السيدة بانتصار: «أرأيت؟ لقد قمت أنا فعلاً بالعمل الصواب.» واستدارت نحو ميغ متابعة: «والآن ستدلك فيليبيين على غرفتك، يا عزيزتي وعندما ترتاحين قليلاً ستناول الطعام.»

وتنفست ميغ الصعداء وهي تنجو بنفسها من غرفة الجلوس قبل ان تتهاوى ساقاها فتسقط على السجادة الحائمة اللون.

حسناً، لقد ظهرتها تلك النار الحارقة التي عانتها، لتنتعش من جديد. وكانت هذه الأفكار تراودها وهي تتبع خطوات فيليبيين النشطة صاعدة السلم. ولكن كراهيتها لنفسها، لشعورها بأنها دخيلة في هذا المنزل، لم تخف مثقال ذرة وهي ترى نفسها تقابل هذه الضيافة والعواطف بالخدعية ودون استحقاق لها.

وكأنما لم يكف هذا، ليأتي جيروم مونتكورت فيجعل الأمور أسوأ مئة مرة، إنه كابوس لا يقظة منه، وشعرت بفصة في حلتها. إن كل تصرفاته نحوها كانت مزعجة... غامضة تماماً.

إن عليها ان تبقى بعيدة عنه قدر امكانها، هذا إذا كانت حريصة على راحتها النفسية. وقد لا يكون هذا سهلاً،

ولكنها، على الأقل ستبقى في الأمسيات بمفردتها عندما يذهب هو إلى مسكنه وحياته الخاصة. وعندما اطمأن إلى هذه الفكرة، وجدت خيالها يعود بها إلى تلك المناظر الخلابة، والتلال الشرقية من خلال الجدار الزجاجي... وأخذت تتساءل كم عدد النساء اللاتي أخذن يرافقن الفجر معه... وهتفت من الأعمق، آه... آه.

كان الألم الذي شعرت به أشبه باغمام سكين في قلبها، لا يماثل أي ألم شعرت به من قبل بعنفه المفاجئ. وفكرت في أن هذا الشعور لا بد أن يكون الغيرة... هل هي تفار؟ ولكن هذا يعني أنها... وفي هذه المرة، لم تكن الرجفة، التي انتابتها، بتأثير الحب، بل كانت بتأثير الخوف.

الفصل السادس

«هذه هي غرفتك، يا آنسة.» وأخرجت كلمات فيليبيين هذه، ميع من خواطرها المفزعة. شكرتها وقلبها ما زال يخنق بعنف، متمنداً على ما اكتشفته في أعماقها منذ برهة. ودخلت غرفتها من الباب الذي ما زالت فيليبيين ممسكة به مفتوحاً لها. ووجدت نفسها في غرفة فسيحة مربعة، حملت الكتبة إلى جوها مجموعة من الآثار المنحوت القديم الطراز وسرير كبير ذو سقف. وكانت رائحة الرطوبة العفنة أقوى منها في الطابق الأسفل. ولكن فراش السرير كان وثيراً مريحاً رغم مظهر السرير الكثيب. كما كانت الملاءات ناعمة معطرة ببعض الأعشاب العطرية الجافة كما أدركت ميع، وقد ساورها السرور.

دخلت فيليبيين تحمل بعض المناشف وهي تقول: «أرجو أن تجدي الراحة التامة هنا. إن الحمام عبر الممر بجانب الباب. وهو الوحيد في هذه الناحية من المنزل. وهكذا ستتشاركين به مع السيد جيروم مونتكورت.»

دارت ميع على عقيبها وهي تقول مصعقة: «ولكنه لا يسكن هنا.» وسكتت لتخفف قليلاً من الحدة التي بدت في لهجتها ثم تابعت تقول: «أعني أن له بيته الخاص به وهو ليس بعيداً من هنا، أليس كذلك؟»

فهزت فيليبيين كتفيها وهي تقول: «آه، نعم. ولكنه يأتي

بالضيق والحيرة اللذين يكتنفانها. ولكن اقتراب موعد الغداء
جعلها تكتفي بغسل وجهها ويديها فقط.
وعادت تجتاز الممر لاحضار منشقة، لتقف مصعوقة
 أمام الباب وهي ترى جيروم مونتكورت يستدير إليها من
 أمام النافذة ويديه على خاصرته.

واستبد بها الغضب وهي تراه وكأنه يشعر بنفسه في بيته. وسألته من بين أسنانها: «ما الذي تفعله هنا؟ إن أعصاك في منتهي البيرود حقاً».

فرد عليها بسرعة وحدة وهو يشير إلى زاوية الغرفة: «لا تكوني حمقاء، فقد أحضرت لك أمتعتك. لقد أصبحت هذه عادة..»

قالت بجفاء: «أشكرك. ولكنني مازلت لا أريدك هنا». وسارت نحو السرير تمسك بحبل الجرس وهي تتبع قائلة: «أم لعلك تريدينني أن استدعى، فليلبي؟»

قال بسرور: «يمكنك استدعاء من تشاءين. ولكن لا تشدّي الحبل بقوّة وإلا سقط الحبل والجرس في يدك جارأً معه السقف كذلك. كان على فيليبيين أن تنبهك إلى هذا».

قالت: «انا لا أصدقك..». ضحك وهو يجيبها: «هذا ممكن. إنها كلمة المهندس..». فتركت الحبل مت悔لة وهي تقول بصرارة واضحة: «لا أظن أنه ينبغي علي أن أصدقك بشيء..».

قال بجفاء: «هذا كلام خشن». وشملها بنظراته وهو يتابع: «أظن أنتا، تحن الاثنين، يجب أن نعلن هدنة بيتنا». قالت: «وعلى أي أساس؟» وواجهته برأس مرفوع وعينين متلقيتين، رافضة الاعتراف لنفسها بتاثير جاذبيته

إلينا أحياناً لقضاء الليل.» وألقت حولها نظرة وهي تتبع
قائلة: «لكي ينتهي من معاينة هذا المنزل في وقت قصير،
ويجهز قائمة العمل، يستلزم هذا مجهدًا كبيراً. وأحياناً،
يبدأ السيد عمله في الصباح الباكر، لينتهي متأخرًا في
الليل...، هكذا يحد من الأفضل أن يبقى هنا».

وابتسمت لميغ بحراة وهي تستطرد: «هذا إلى أن السيدة ترید منه أن يبقى. فهی تحب أن ترى رجلاً في منزلها. وهي تتقول إنها تعتبره إبنًا لها حيث لم ترزق المسكينة بأولاد..» قالت ميغ دون أن يبدو عليها أي تعبير، بينما كان قلبها يغوص بين ضلوعها: «أحقاً؟»

قالت فيليبيين وهي تشير إلى حبل معلق بجانب السرير: «إذا أردت أي شيء، يا آنسة، فيمكنك أن تشدي هذا الجرس، إذ علىي أن أذهب الآن لتحضير الغداء..»

تصنعت ميع ابتسامة وهي تقول: «إنني متأكدة من أن كل شيء على ما يرام.» وكانت قد لاحظت لتوها، القفل المزخرف المزود به الباب، ومفتاحه فيه. ربما كان صدئاً، ولكنه صالح دون شك... إذ ربما فكر السيد مونتكورت في أن يشتراك معها بأكثر من الحمام.

وعندما تركتها فيليبيين، خرجت هي لتلقي نظرة على الحمام. وسرها أن تجد قفلاً على الباب أيضاً.

كان حوض الاستحمام قائماً في وسط الحمام. ومدت مين يدها تختبر الصنبور النحاسي الثقيل ليتدفق الماء الساخن منه. وأخذت تربت على الجوانب المقواة بالحديد وهي تخاطبه: «أظلّننا ستكون أصدقاء..» وتمتن لو كان بإمكانها الغوص فيه حالاً، لتخلاص من هذا الشعور

القوية، وهي تتابع: «وإلى متى؟ آه، لا تقل كما سبق وقلت من قبل (حسب ما يستلزمها الوقت)». وأطلقت ضحكة قصيرة جافة.

فقال: «بالضبط، إذ أن ثمة أشياء كثيرة يمكن أن تتحققها بنجاح، كما سبق ولا حظت». ونظر حوله وهو يتابع: «أرجو ألا تكون قد انتابتك خيبة الأمل لما يحيط بك. إذ لا بد أنك سبق وتصورت أشياء أكثر حداثة وبريقاً... وثراء طبعاً». وهز رأسه وهو يستطرد قائلاً: «من دون نقود يوقف التدهور، يصبح بيت كهذا عبئاً أكثر منه ميزة».

قالت بجفاء: «هذا لا يهمني بشيء، ولا أظن أن السيدة دي بريسو تحب مناقشة شؤونها الخاصة من وراء ظهرها مهما كانت صداقتك لها».

قال وابتسمة خفيفة تلوح على زاويتي فمه: «إنني أقبل الانتقاد. إذن فإنك لم تفكري قط في المستقبل يا مارغريت... ولم تتساءلي عما يمكن أن تفكر فيه خالتك المسنة بالنسبة إلى ميراثها المتهاكل هذا. ولماذا اختارت أن تستدعيك إلى هنا في هذا الوقت بالذات؟»

أجابت بصراحة جافة: «كلا. لم أفك في كل هذا». ذلك أن هذا السبب لم يكن هو سبب حضورها إلى هنا... ولكن ألم يكن ذلك للمحافظة على مصالح مارغوت المادية؟ مع أنه يبدو أن هذه المصالح قد ابتدأت تتلاشى بسرعة وأحسست بوخذ في ضميرها لشعور خفي بالرضا لهذا الأمر. وضحك جيروم قائلاً: «إنك، تقريرياً، طيبة إلى حد لا يصدق، يا جميلتي».

كان في صوته رنة ساخرة، وهو يتابع: «إنني أطلع إلى

ما ستؤول إليه علاقتنا في الأربعة أسابيع القادمة.» رفعت وجهها متهدية وهي تقول: «حسناً، إنني لا أشارك توقعاتك هذه، كما أنه ليست بيننا أية علاقات حسب ما اعتذر».

رفع حاجبيه وهو ينظر إليها بإمعان قائلاً: «مطلقاً؛ إن ما ذكره مختلف عن هذا تماماً».

أجابت ببرود: «ربما، إنني أذكر... لحظة أو شكت فيها أن أحيد عن الطريق القوي. ولا شيء غير ذلك». وتنفست بعمق وهي تتابع: «في الحقيقة، أيها السيد إن عندي شعوراً غريزياً بأنك لا تشعر نحوي ولو بمجرد المودة الخالصة». قال بافدراء: «مودة؟ وماذا تفعل هذه الكلمة البسيطة إزاء المشاعر الجياشة بين رجل وامرأة؟ لقد كنت منجدًا إليك ليلة أمس، يا مارغريت، فلا الانكار ولا الندم ولا شيء مطلقاً يمكن أن يغير من الحقيقة شيئاً».

وفي خطوتين، كان بجانبها. وقبل أن تستوعب تماماً ما يمكن أن يحدث، فتأخذ حذرها، وجدت نفسها بين ذراعيه. وهتفت في أعماقها، وهي تشعر بخفقان قلبها يعلو، يا لحظي الحسن! وفجأة، إذ به يطلقها من بين ذراعيه، مبعداً إياها عنه بشيء يقرب من الغلظة، وعيناه تتالقان، وهو يقول: «دعينا إذن، من الحديث عن الطريق القوي يا صغيرتي الجميلة المنافقة. إذ أننا قد اتفقنا الآن معاً». وتأمل في وجهها المتضرج وهو يقول: «أليس كذلك، يا عصفوري الحلوة؟»

مشى نحو الباب، وراقبته هي بذهول وهو يأخذ المفتاح من القفل، ناظراً إليها من فوق كتفه، قائلاً وكأنه يخاطب

نفسه: «من الأفضل أن يبقى معي». ثم خرج من الغرفة، تاركاً إياها في ذهولها ذاك، لا تدري ماذا تفعل أو تقول. واستعانت ميع بكل ما تملك من شجاعة، لكي تنزل إلى قاعة الطعام، مستعية في سبيل أن تجد طريقة للاعتذار عن تناول الغداء، محتاجة لذلك بصداع أو ما أشبه. ولكن هذا سيعني اعترافاً منها بانتصاره عليها مما تفضل الموت عليه.

وهكذا دخلت الحمام تغسل وجهها بالماء البارد، ثم عادت إلى غرفتها تتضع على وجهها قليلاً من مواد التجميل بشكل محتشم تخفي بذلك تصرخ خديها، واحتقان عينيها الناتج عن حدة المشاعر التي تعانيها، ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً لنبضها المتسرع، ولا لتوقد العواطف ذاك الذي بعثه في أحاسيسها.

فكرة، وقد ساورها الشعور بالعار، في أن يقتله مشاعرها هذه لم تكن من فعله وحده... والآن، عليها أن تواجهه... أن تظاهرة بأنه لم يحدث لها شيء. وأن كل ما في الأمر أنه قد احتضنها بين ذراعيه ولا شيء سوى ذلك. وهذا فقط لكي يثار لكرامة رجلته التي سبق وجراحتها. وفكرت في أنها لن تكرر هذه الغلطة مرة أخرى. لقد جاءت إلى هذا المكان لكي تكون مرافقة للسيدة دي برييسو ولا شيء غير ذلك. ومن الآن فصاعداً، ستبقى معها كظلها ولن تتزحزح من قربها.

كانت تفكر في كل ذلك وقد ساد ملامحها العبوس. هو لن يتمكن من أن يفعل شيئاً تجاه هذا مهما بلغت جاذبيته. وعاجلاً أم آجلاً، لا بد سيلمس عقم محاولاته

مطاردتها، فيعود إلى تلك المرأة التي كلمته في الهاتف، ليكرس نفسه لها... أو إلى أية امرأة أخرى على قائمة، تاركاً إياها حرفة في العودة آخر الشهر، إلى بلدتها لكي تنساه تماماً.

هذا إذا استطاعت ذلك.

ونظرت إلى وجهها في المرأة، متأملة عينيها المتسعتين المغضوبتين، والتوتر في خديها، وارتباك شفتيها. وشعرت بلهفة الشوق إليه، ومرارة الهجران.

رفعت عينيها تدعوا وقد انتابها كرب مبرح، وهي تتنفس الأنف في حبه.

وبرأس عالٍ، نزلت السلم، وتوقفت قليلاً تتمالك نفسها بعد ما سمعت أصواتاً تتباعد من غرفة الجلوس، وبهدوء، دفعت الباب، ثم دخلت. كانت السيدة تحتل مقعدها المعتاد. وقد رفعت يدها لتضغط جبينها بضعف، بينما كان جيروم واقفاً عند النافذة حاملاً بيده رزمة من الورق.

وعندما دخلت ميع، كانت السيدة تقول: «إذا كنت تظن أن هذا العمل ضروري، فلا بد إذن، من إجرائه». فأوْمأ برأسه وهو يضع الأوراق في محفظته، قائلاً: «سأقوم ببعض التخطيطات، ثم أضمها إلى التقرير». وقطب جبينه قليلاً وهو يتتابع قوله: «ولكن على انتظار عودة ماري كلود من اجازتها لكي تطبعها، وتأخير ذلك هو مزعج في الواقع».

قالت السيدة فجأة: «ربما، في هذه الحال، تستطيع مارغوت مساعدتك في ذلك، فهي تعمل سكرتيرة لسياسي انكليزي، كما علمت». واستدارت نحو ميع قائلة: «إنني

متاكدة يا عزيزتي من أنك ستكونين مسرورة إذ تنوبين عن
ماري كلود.»

شعرت ميغ وكأنها استحالت إلى تمثال من الحجر. إن هذه عقبة لم تكن قد تنبأت بها، سواء هي أم مارغوت، وانتابها انفعال شديد في أعماقها.

وأخيراً، قالت ببرود: «إنني أشك في قدرتي على المساعدة، فأنا لست طابعة في الحقيقة، وإنما مساعدة شخصية. وربما مهارتي العملية لا ترتفع إلى مستوى عمل السيد مونتكورت.»

بدا وكأنها ستواجه، مرة أخرى، غضب جيروم البارد ذاك، ولكن ذلك لم يدم سوى لحظة، قال بعدها بابتسامة ملتوية وهو يهز كتفيه: «سيكون من دواعي سروري أن استفيد من مهاراتك مهما كان مستواها.»

قالت السيدة دي بريسو: «إذن، فقد استقر بنا الأمر على هذا. والآن، فلنذهب لتناول الغداء.»

مشت أمامهما إلى غرفة الطعام متكتئة على عصاها. وتبعتها ميغ وقد فارقتها شهيتها للطعام. ذلك أن الدروس المختصة بالتجارة والتي تلقتها في السنة النهائية من دراستها، لا تؤهلها لأية اعمال سكرتارية، بل لا تقاد تكون لها أية أهمية مقابل العمل المعقد الذي عليها أن تقوم به الآن.

وعندما جلست إلى المائدة. رمقت جيروم بنظرة مشتعلة من الغضب، إزاء نظرية السخرية الممزوجة بالانتصار وشيء آخر بدا في عينيه لم تستطع فهمه.
وبidalها وكان السيدة دي بريسو تحاول أن تدفع الواحد

منهما نحو الآخر، ولم تشعر ميغ بالسرور لهذا الخاطر الذي ساورها وهي تحتسي الحساء، وقالت: «متى تريдан مني أن أبدأ العمل؟ بعد ظهر اليوم؟»

أجاب هو بنفس الابتسامة الملتوية: «إنني لا أحب الاستبعاد لكي أدفعك للعمل بهذه السرعة. إن الغد هو مناسب تماماً.»

وفكرت ميغ باكتئاب في أن الأمر بأجمعه قد تم بشكل أسرع مما يجب. وكانت فيليبين ترفع الأطباق، لحضور طبقاً يحوي سمكاً مشوياً مع البازلا والبطاطا وقد رش فوقه البقدونس.

وقال لها جيروم بينما انهمكوا جميعاً في تناول الطعام: «والآن، أخبرينا ما هو بالضبط، عمل المساعدة الشخصية الذي تزاولينه؟»

فأجابت ميغ وهي تركز اهتمامها على نزع حسكة من قطعة السمك التي أمامها: «إنه متنوع..»

فعاد يقول بلهف: «إنني متأكد من ذلك، ولكن لا بد أن في إمكانك أن تذكرني واحداً منها على الأقل..»

قالت: «حسناً، هناك الأبحاث.» كانت قد سبق وسمعت مرة، مارغوت تذكر هذا. وشعرت بالارتياح إذ تذكرت ذلك وهي تتتابع: «كما أنتي أساعد في حل المشكلات التي تحدث في الدوائر الانتخابية.»

رفع حاجبيه يسألها: «وكيف استطعت التخلص عن مثل هذه المسؤولية لتقضى هنا أربعة اسابيع؟ لو كنت أنا رئيسك في العمل، لما قبلت ذلك.»
حدقت ميغ في صحتها وهي تقول: «إن عطلتي السنوية

قال ساخراً: «أوه، هيا. إنك بين أصدقاء ولا شيء مما تقولينه يمكن أن يتسرّب خارج هذه الجدران. فلأين الضرر في هذا؟ إنني متأكد من أنه لن ينبع عن هذا أي ضرر.»
شعرت هي باستياء داخلي، إنهمما لن يطلقا سبيلها. فقد كان اللشان ينطران إليها بتوقّع، خاصة جبروم.

وباللت شفتيها الجافتتين وهي تفكك، بسرعة، في ستيفن كيرتيس. وقالت: «حسناً، إنه طموح و مليء بالحيوية وشديد التحمل.» لم يكن من السهل عليها أن تصف شخصاً لم تره إلا على شاشة التلفزيون، وكل ما تعرفه عنه هو بالسماع.

سألها جيروم: «هل هو شاب؟»
أجبت: «أظنه في الثلاثينات من عمره..»
نظر إليها بحدة قائلًا: «أليست متأكدة من ذلك؟ كيف تدعين
أنكِ أنتِ علاقتك به حميمة؟»

رفعت وجهها لدى ما ظننته سخرية في لهجته، وهي تقول: «إنني لم أدع شيئاً من هذا النوع، فهذه فكرتك أنت وليس لي بها علاقة.»

ورأت عيناً جيروم تضيقان، وسكت لحظة ثم قال: «حتى ولو لم تكوني تعرفين عمره، فلا بد أنك تعرفين إن كان متقدّماً، حاً أم عاذِياً».

قالت: «بل هو متزوج». وتساءلت بينها وبين نفسها عما إذا كان ما يزال متزوجاً حقيقة، أم أن مارغوت قد نجحت في دسائسها.

سألتها السيدة: «هل هو وسيم؟»
هربت ميغ كتفيها قائلة: «أظن ذلك. نعم.» قالت هذا رغم

هي ستة أسباب، أما موعد العطلة وكيفيتها، فهذا راجع إلى كل حال، فإن العطلة البرلمانية قد أصبحت قريبة.» وتمضي، وهي تقول هذا، أن يكون كلامها صحيحاً. قالت السيدة دي بريسو وقد بدا عليها الانزعاج: «ومع هذا، فإن من كرم أخلاقه أن سمح لك بالقدوم إلىي. إنني لم أدرك المشكلة التي قد تسببها دعوتي لك حين أرسلتها.» ابتسم لها جيروم قائلاً: «ليس لك أن تقلقي. فأنا متأكد من أن فناتنا الجميلة مارغوت هي أجمل السكريتيرات، فهي أعلى من أن يغبطوا بها.»

وتشابك نظراته مع نظاراته ممتعة كما يتشارك السلاحان
قبل المبارزة ما جعلها تجفل بينما تابع هو قائلاً: «أليس
ذلك يا جميلتي؟»
فأحاجيات بمحمر: «لست أنا من يقدر هنالك هذا»

فضحك بهدوء وهو يقول: «إنك متواضعه أكثر من اللزوم..» وانحنى فجأة إلى الأمام وهو يتتابع: «أخبرينا إذن، عن مخدومك ذاك الذي يشبه الأمير بين الرؤساء، كيف

قالت السيدة مداعبة: «لأظن ثمة أي رئيس يبدو أميراً في عين سكرتيرته، يا عزيزي. فهني عادة، تعرفه كما تعرفه وحنه». [١]

قال جيروم وعيناه مثبتتان على وجه ميع المترج وقد
لذا الغموض على ملامحه: «هذا أفضل، إن مثل هذه
المعلومات الشخصية تنورنا أكثر».

عشت ميع شفتها قائلة: «إن أخلاقي تمنعني من أن
تحدث عن خصوصياته.»

أن نوع وسامة سيفن كيرتيس لم يجذبها فقط، فربت السيدة على يدها مداعبة: «يبدو لي، يا عزيزتي، وكأن هذه الإلفة قد ولدت نوعاً من الإزدراء. حسناً، ربما ليس هذا بالأمر السييء. هل هو الشخص الوحيد الذي اشتغلت معه؟»

أجابت ميج: «نعم». وفكرت في أن مارغوت قد خرجت من معهد السكريتارية العالي مباشرة للعمل مع سيفن كيرتيس في دائرة رسمية خاصة في مدينة لندن قبل أن يصمم على ترشيح نفسه للنيابة.

قال جيروم متاماً: «ولهذا كنت قليلة التجارب، ولا بد أن يشعر مخدومك بالشكر لي لتوسيعي آفاقك..»

أجابت ميج وهي تدعو أن يتغير موضوع الحديث: «ربما..»

قالت السيدة وهي تشير إلى فيليبين باحضار الحلوي: «أمل أن يستطيع تدبير أموره في غيابك..»

أجابت ميج متاجلة ابتسامة جيروم الهازئة: «ليس ثمة من لا يمكن الإستغناء عنه..»

سألها بلهف: «الآن تخافين من أن يوظف أخرى بدلاً منك، وذلك أثناء غيابك؟»

هزت كفيها قائلة: «هذه مغامرة كان لا بد لي من القيام بها..»

رفع حاجبيه يسألها: «مغامرة أخرى؟ يبدو أنك تحبين اقتحام الأخطار..»

بقيت الابتسامة التهكمية على شفتيها، ولكن خفقات قلبها تسارعت عندما فكرت في أن هذا لم يحدث قبل الآن. ذلك أنه من الممكن جداً أن ينكشف تذكرها هذا، لتطرد من

هاوت أرينياك بما تستحقه من الخزي. إذ أنه ليس ثمة شخص عاقل يصدق أن انساناً مليئاً بالحيوية، كما وصفت ذلك النائب، يمكن أن يتحمل عدم كفاءتها هذه، لحظة واحدة.

وفكرت في أنه يمكنها أن تخادع، ولكن إلى متى؟ ربما من الأفضل أن تطرد من المكان ولو أن فشلها سيخلق المشكلات في منزلها. ولكنها، على الأقل، ستنجو من الاغراء حيث يوجد جيروم. وإذا كانت ستلتزم لأجله، فمن الأفضل أن يكون هذا بعيداً عنها.

قالت لها السيدة: «إنك تبدين هادئة جداً يا عزيزتي وحزينة أيضاً. أليس كذلك، يا جيروم؟» فأجاب وهو يقشر تفاحة: «ربما كانت تحن إلى وطنيها، مشتاقة إلى من تركتهم خلفها..»

قالت السيدة: «هذا طبيعي. يجب أن تتصل بي منزلك، يا مارغوت، لطمئنني أملك أنك هنا وفي أمان. يمكنك أن تستعمل الهاتف الذي في غرفة المكتبة في أي وقت. وجيروم سيدلك على مكانه..»

تناولت السيدة عصاها وهي تقف قائلة: «سأصعد الآن إلى غرفتي للراحة..»

قالت ميج وهي لا تعرف نوع العمل المفروض عليها القيام به: «هل آتي معك؟»

أجابت السيدة: «كلا، واستمتعي بحريرتك كما تريدين. موعد تناول الشاي هو الرابعة بعد الظهر. وفي نفس الوقت تصل الصحف الانكليزية. وأريدك أن تقرئيها لي..» وتتابعت طريقها وهي تمنحهما ابتسامة هما الاثنين.

فتح جيروم لها الباب لتابع هي طريقها صاعدة إلى الطابق الأعلى تساعدها فيليبين، ثم استدار عائداً إلى ميع قائلأ: «والآن، هيا إلى الهاتف.»

أجابته بحدة: «ليس ثمة ضرورة للسرعة.»

قال: «هناك شيء واحد يجب أن تعرفيه حالاً، وهو أن ما تريده خالتك هو القانون في هذا المنزل. إنها تشعر أن أمك لا بد قلقة عليك، ومن حقها أن تطمئن. وهذا هو المهم.»

قالت بهدوء: «نعم، لم أكن أفكراً في هذا.»

قال: «يجب أن تحاولي ذلك. إن السيدة حسنة الظن بك. وأنا لا أريد لها أن تشعر بخيبة الأمل بأي شكل كان..»

رفعت رأسها قائلة: «وأنا أيضاً... صدقني.» فقال وقد استحال لبسامة إلى عبوس: «إذن، فقد تفاهمنا. تعالى معى إذن، يا جميلتي.»

وخطر لها، وهي تتبعه، أن بإمكانها أن تسير خلفه إلى آخر الدنيا، لو أراد هو. ولو أنها عند ذاك، ستكون أكبر حمقاء في العالم. وشعرت برغبة في البكاء لحماقتها هذه.

الفصل السابع

أعادت ميع السماuga إلى مكانها وهي تتنهد. لقد حاولت الاتصال بزوجة أبيها ثلاثة مرات. وفي كل مرة كان الهاتف يبدو مشغولاً. وعليها أن تعاود الاتصال في ما بعد.

وفكرت، وهي تجил نظرها حولها في رفوف الكتب المكتظة بها المكتبة، في أن مكتبة آل بريسو، هذه تستحق هذا الاسم فعلاً. لقد كانت الجدران مرصوصة بالكتب حتى السقف، هذا إذا استثنينا الجدار الذي تقوم فيه الأبواب الفرنسية التي تفتح على الشرفة، وكذلك كانت صناديق الكتب موزعة على أرضية الغرفة. وكانت معظم الكتب مجلدة ومؤرخة بتاريخ القصر المختلفة.

مشت نحو أقرب رف، حيثأخذت تتفحص عنوانين الكتب. وتملكتها الإثارة وهي ترى محتوياتها عن قرب. وركعت على ركبتيها تخرج المجلدات وتقلب صفحاتها بكل احترام وعناء.

رأيت على الرف، كتاباً قد توارى وراء غيره من الكتب. ولما تناولته وجدت أنه مجموعة أشعار فرنسية قديمة. ولكن الطبيعة كانت أكثر حداثة من غيرها من هذا النوع من الكتب.

ابتدأت تتصفحه تفتش فيه عن شعر الأوباد الذي سبق وقرأ لها جيروم شيئاً منه. ولكن أملها خاب إذ لم تجده في هذا الكتاب، مع أن اغلب الأشعار الموجودة كانت تتحدث عن

الحب. ورغم أن أغلب الكلمات كانت قديمة مهجورة، إلا أن تعابيرها كانت مألوفة، البحث عن الحب، الاشباع العاطفي، فقدان الحب، الذي كان أقوى وأعنف تأثيراً من غيره، كان كل هذا موجوداً. كانت مشاعر العذاب والشوق التي تنفجر بها أبيات الشعر تلك، من الجدة وكأنها حدثت أمس فقط، وليس في تلك الأيام البعيدة من العصور الوسطى. جاء صوت جيروم من خلفها يقول: «تبدين مستغرقة جداً».

جفلت ميع وسقط الكتاب من يدها وهي تستدير إليه. كان واقفاً عند الباب يراقبها وقد وضع يديه في جيبه. قالت بخشونة: «إنك... لقد أفرز عنتي». فبدأ على شفتيه التهمّ و هو يقول: «هذا واضح. هل أنت عصبية دوماً هكذا؟». قالت: «ليس هذا من عادتي».

قال بلطف: «إنني السبب إذن. إنك تحريريني فقد كنت أفلنك أقوى من ذلك، يا جميلتي». قالت: «إنك، إذن لا تعرفني». وعندما رأت ابتسامته تتسع، تصرّج وجهها وتتابعت تقول: «أعني... على كل حال، لا شيء مهم..».

قال: «ربما كنا نختلف في بعض الأمور المهمة». أجبت: «أظلنا نختلف بالنسبة لكل شيء». واستعادت كتابتها من حيث سقط، بيد ترتجف قليلاً، ثم نهضت واقفة على قدميها وهي تتتابع: «حيث أنتي أحب الانفراد بنفسي، فإنني أرجو أن تعيّد إلى المفتاح الذي سبق وأخذته من باب غرفتي، من فضلك».

قال: «يؤسفني أن أرفض طلبك هذا. إذ أنتي أظن أن من الأفضل الإحتفاظ به معك، وهذا أكثر أماناً إذ أنك، بالنسبة إلى طبيعتك المتوجسة أكثر من اللازم، قد يخطر لك أن تقفلني عليك بباب غرفتك، وهذا شيء بعيد عن الحكم لأن الأسلام الكهربائية في هذا المنزل هي أكثر اهتماء وقدمًا من كل ما في البيت، فإذا حدث وثبت النار، فإليك ستموتين حرقاً بينما نحن نحاول أن نكسر باب غرفتك ذاك».

قابلت ميع تلك السخرية في صوته بوجه متجرد وهي تقول: «يوجد طريقة للموت أبغض من هذه».

قال: «لا أظن ذلك. أم أن فكرتك هذه استوحيتها من قراءتك عن مذابح الكاثار؟» ارتعشت بالرغم منها وهي تقول: «آه، لقد قفزت عدة صفحات مخيفة بعد محاصرة موتن زيفر».

قال: «لا يلومك أحد على ذلك». وسكت لحظة. ثم سائلها: «ما هي الصفحات التي تقفزي إليها الآن في هذا الكتاب؟»

أجبت: «إنها قليلة جداً. لم تكن، بالطبع، تريد أن تخبره بأنها تبحث عن أشعار الأوبرا التي سبق وقرأ لها بعضها. وأشارت إلى ما حولها وهي تقول: «إنه الفردوس هنا. وأنا أتساءل عما إذا كانت السيدة تعرفكم تساوي بعض هذه الكتب».

رفع حاجبيه متهمكاً وهو يقول: «هل تحسبين الأشياء الثمينة التي يمكن بيعها لتسديد الديون؟» شعرت وكأنه قد صفعها على وجهها، فقالت: «أؤكّد لك أن اهتمامي مهنياً أكثر منه شخصياً».

قال بيطره: «إنك تذهبيني على الدوام، يا عزيزتي مارغوت إذ أرى اهتماماتك تنتقل من الكاثار إلى السياسة والآن إلى الكتب النادرة... أليس ثمة حدود لخبراتك؟» تمنتت وقد أحمر وجهها وبدا عليها الشعور بالذنب إذ أدركت أنها كانت على وشك أن تفضح نفسها، وذلك بفضح مهنتها الأصلية، قالت مترنحة: «إنني لست خبيرة. إن عندي صديق خبير بالكتب القديمة وكانت أسعده أحياناً». فقال بهدوء: «يا لها من حياة خلابة، حياتك. ما الذي بإمكانني أن أقدمه إليك لتعويضك عن خسارتك تلك، المؤقتة طبعاً».

كان ما يزال يبتسم، ولكن كان ثمة خطوط حول فمه، بينما ملامحه حالية من التعبير. شعرت بالضيق، وأرادت أن تخرج من هذه الغرفة لتنجو بنفسها من قربه الخطير. ولكنها كان يسد الباب بجسمه ومتعمداً أيضاً، كما شعرت. قالت بهدوء: «ليس عليك أن تقدم شيئاً. فأنا راضية تماماً بوضعي هنا، وبجانب ذلك، فهذا الشهر مخصص للسيدة... لعمتي».

قال بصوت أخش: «ما أجمل تفانيك في واجبك. وأمل أن تكوني ممثلة جيدة. يا عزيزتي، لأنك بحاجة لكي تكوني ذلك».

هفت والشعور بالذنب يبدو على ملامحها: «ممثلة؟ ما الذي تقصده؟»

وفكرت يائسة في ما إذا كانت زلة لسانها الحمقاء تلك عن الكتب قد غيرت فكرته عنها، وجعلته يعرف بأنها مخادعة؟ وإنما كان الأمر كذلك، فما الذي سيقوم به بهذا الشخص؟

ومد يده يمسك بذقنها بغلظة، يدير وجهها إليه، وهو يقول مستهزئاً: «يا للبراءة التي يبديها تصرخ وجهك هذا، بينما نحن الاثنين، نعلم أن براءتك هذه مجرد رباء، أليس كذلك، يا عزيزتي؟» وانخفض صوته إلى درجة الهمس وهو يتبع قائلاً: «ما الذي تفعلينه هنا، يا مارغوت؟ ما الذي أغراك بالابتعاد عن عملك. عن مهنتك العالية وحياتك اللاهية، واصدقائك الكثر، وذلك لكي تأتي لتمضي أربعة أسابيع طويلة في هذه العزلة الريفية هنا؟»

أجابت: «لقد أرسلت السيدة تطلبني».

ضحك بخفة وهو يقول: «وهكذا تخليت عن كل شيء وكل شخص على الفور. إن الشخص يكاد يظن أنك هاربة من شيء ما. من وضع لم تعودي تستطعين التحكم فيه، مثلاً». تراجعت خطوة إلى الخلف وهي تقول: «إن هربي ذاك إنما مجرد تصورات منك، أيها السيد، ولا أدرى ما الذي يجعلني أخضع لكل هذه الأسئلة الدقيقة منك». وارتفع صوتها قائلاً: «إن هذا ليس من شأنك أبداً».

قال: «إنك مخطئة، ذلك أن كل شيء يؤثر على السيدة مارغريت يهمني. فكوني حذرة».

أطلقت ضحكة سريعة وهي تقول: «تبأ، لقد سبقك أوكتافيان إلى تحذيري، والآن أنت أيضاً تحذرني. لقد ابتدأت أشعر بالأسف لحضورك. والآن، أرجو المغفرة، فأننا بحاجة إلى بعض الهواء النقي».

وتوجهت نحو الباب المؤدي إلى الشرفة، راجية ألا يكون مقفلأ، ولكن مقبض الباب استدار في يدها بسهولة، وتبعها صوت جيروم قائلاً بخشونة: «وأنا أيضاً أشعر بالأسف

لذلك، إنني أتمنى من كل قلبي، يا جميلتي، لو لم أكن قد
قابلتك قط. ولكن الأوان قد فات الآن.»

لم تنظر إلى الخلف، ولكن صدى كلماته ما زالت
تلحقها وهي تخرج إلى الشمس. لقد قال إن الأوان قد
فات... نعم، لقد فات الأوان حقاً بالنسبة إليها، وذلك عندما
أصبح قلبها أسيراً، بصورة دائمة، لجيروم مونتكورت الذي
لم يكن ليضمُر لها سوى الإذراء.

كان الجو حاراً والنسيم ساكنًا عندما نزلت ميعن من
الشرفة إلى الحديقة. ولم يكن هذا المكان ذو الجو الخانق
بالذي يصلح لجلوسها، رغم رغبتها في الانفراد ب نفسها،
كانت تفكِّر في ذلك، وهي تسير مفتَشة عن مكان ظليل تجلس
فيه.

وبعث في نفسها الحزن أن ترى الوهن يدب في هذه
الحديقة بنفس النسبة التي يدب فيها في المنزل، وذلك أثناء
سيرها بين الأجمات والأعشاب البرية المتطاولة والتي
تحتاج، كما أخذت تحدث نفسها، إلى جيش لتشذيبها
وتنظيمها. واستدارت حول زاوية ثم توقفت شاعرة
بالسرور وهي ترى المكان الذي قادتها إليه خطواتها.
ذلك أن شخصاً ما، قد غرس هنا، منذ وقت بعيد، وروداً من
أنواع ممتازة ما زالت تتذكرها منذ الطفولة. كانت وروداً
غرسها أبوها بنفسه في حديقته وغمرها بحبه، وهو
يغذيها ويعتنى بها كأحد أولاده.

رفعت ميعن وجهها تتنشق عبير هذه الورود وقد غمرها
الحنين. لقد اجتثت ايريس زوجة أبيها كل هذه الورود، بعد
وفاته، لتغرس مكانها وروداً مهجنة عديمة الرائحة مقاومة

لأمراض النباتات، وهي ترد على احتجاج إبنة زوجها
باقتنصاب: «إن هذه أقل إزعاجاً.»

جلست ميعن على المقعد الحجري وقد عادت بها الذكريات
إلى زواج أبيها من ايريس بعد سنوات من ترمله، لقد
تزوجها في خلال أسبوع قليلة من تعارفهما، غامراً إياها
بعواطفه المحمومة التي لم تسمح له ببرؤية عيوبها. وفكرت
ميعن بحزن، في أن شعوره بالوحدة هو الذي جعله يفرق في
حبها بهذه السرعة والعنف، وكان في هذا درس لها هي
أيضاً، يجب لأن تنساه مهما كان وضعها.

وحدثت نفسها ب أنها، هي أيضاً، تشعر بالوحدة، وجيروم
مونتكورت هو الرجل الوحيد الذي أظهر اهتماماً بها. ولكنه
إنما كان يسلى نفسه لا غير وعليها لأن تنسى ذلك. فهي ترى
بنفسها النهاية التعسية لممثل هذا الحب.

واعترفت بأن ايريس قد أسعده أباها في السنوات الأخيرة
من حياته، وهذا فقط ما يجعلها شاكراً لها. إذ أن هذه، ما ان
صارت أرملته ووضعت يدها على أملاكه، حتى تغيرت كلها،
وقضية المربيّة وال kokox الذي تريده الآن اخراجها منه، متاجلة
وصية زوجها لها، هذه القضية هي مثال لتصيرفاتها تلك.

قالت تناجي أبيها وقد برح بها الحزن: «آه، يا أبي.
لماذا لم تترك هذه الوصية كتابة بدلاً من أن تثق بزوجتك
إلى هذا الحد؟ فلو كنت فعلت، لما كنت أنا هنا الآن، على
وشك أن أصبح محطمة القلب...»

وغرمت أمام عينيها تفاصيل الورود وهي تغطي وجهها
بيديها. تنسج بالبكاء كالم تبك منذ سنوات، ذلك أن الضياع
امتزج بإثارة عواطفها من ناحية جيروم.

«مارغريت».

ولأن التفكير في جيروم كان مستحوذًا على كيانها، فقد خالت هذا الصوت من تصوراتها. ولكن اللمسة الخفيفة على كتفها جعلت الأمر حقيقة. ورفعت ناظريها إليه، وهي تشتهق، لتراه واقفًا كتمثال قاتم في وهج الشمس.

قالت: «ماذا تريدين؟»

تأملها عابساً وهو يقول: «لقد طلبت مني السيدة أن أبحث عنك، ما الذي حدث؟ هل أنتك أخبار سيئة من بيتك؟» كانت قد فسست المخابرة الهاتفية التي فشلت في إجرائها، فتحركت وهي تزيع يده عن كتفها قائلة: «كلا، لا شيء هناك».

قال: «ليس شمة من يبكي بهذا الشكل لللاشيء». وأخرج من جيبه منديلًا نظيفاً ناولها إياه، ناظراً إليها وهي تمسح الدموع عن وجهها. واستمرت في المنديل رائحة الكولونيا التي يضعها بعد الحلاقة، وكبحت آهة كادت تقلت منها إذ كانت تدرك أنه يحدق النظر فيها.

قال بطف: «لا أظن أنتك كنت صادقة تماماً معي، يا جميلتي».

وكان يتوقف قلبها عن الخفقان وهي تقول: «ماذا تعني؟» فأجاب: «لأنك سبق وقلت ان ليس شمة رجل في حياته، في بلادك». واستندت لهجته وهو يتتابع: «ولكن هذا كان كذباً، لأن مثل هذه الدموع هي لأجل رجل. أليس كذلك؟ أجيبيتني يا مارغوت. أخبريني بالحقيقة، هذه المرة». صعدت إلى شفتيها كلمات تحوي إنكاراً غاضباً ولكنها سرعان ما ردتها وهي تفك في أنه، إذا هو ظن أنها تحب

شخصاً آخر فإن هذا يمنحها ستاراً تتواري خلفه... عذرًا هي في حاجة ماسة إليه لكي تبقيه بعيداً عنها.

أبعدت شعرها عن وجهها وهي تنظر إليه قائلة بلهجة واضحة: «نعم. إنني أبكي لأجل رجل أحبه. إنني أعترف بذلك». ولقد كانت هذه هي الحقيقة، على كل حال، وعلى جيروم أن يفسر كلامها هذا كما يشاء، فهذا شأنه هو. وتابعت تقول متحدية: «هل أنت راضٌ الآن؟»

قال لاويًا شفتيه: «طبعاً، ما دمت جعلتك تؤكدين لي ما سبق وعرفته..».

قالت: «هل لك أن تتركني وحدى الآن؟»

هز رأسه قائلاً: «هذا مستحيل. ونحن الاثنين نعرف هذا». والتقط كتاب الشعر الذي كان قد سقط منها على العشب بجانبها، وناولها إياها وهو يتتابع قائلاً: «إن السيدة تريدين منا أن نذهب غداً إلى مدينة ألبي، لننسوي مسألة السيارة..».

قالت بحدة: «شكراً، ولكن في استطاعتي أن أقوم بهذا العمل بنفسي. إنني لا أريد حارساً بجانبِي..».

رفع حاجبيه قائلاً: «وكيف ستذهبين إلى هناك؟»

أجابت: «أظل هناك مواصلات عامة..»

أجاب: «نعم، هناك باص، ولكن ليس غداً». فغضت شفتها قائلة: «سأستعمل، إذن، سيارة السيدة. فإن أحد الأسباب لقدرتي هنا هو قيادة سيارتها..».

قال: «نعم، هذا صحيح. ولكنني أريد أن أطمئن شخصياً إلى أهلليك في قيادة سيارتها..».

قالت وهي تهب واقفة: «كيف تجرؤ على هذا القول؟ إنك

تعلم أن بإمكانني قيادة السيارة. وقد كنت أقود سيارة عندما تقابلنا».

قال: «كلا، بل كنت واقفة في الطريق في انتظار شجرة تسقط عليك، يا جميلتي. وهذا لا يدل على شيء. إن خالتك إذن، تريدينني أن أصحبك غداً لتأكد من أن كل شيء على مايرام. والآن، إذا كنت لا تريدين مواصلة هذه المجادلة العقيمة، فأنت حرّة في الذهاب إليها».

وعندما استدارت ميع مبتعدة عنه، سمعت صوته وهو يضيف قائلاً بهدوء: «هذه المرة».

وفي غرفة السيدة دي بريسو، كانت مصاريع النوافذ مغلقة، وسرت ميع للعتمة الخفيفة التي تسود المكان والتي تستر آثار الدموع على وجهها، وكانت السيدة مستلقية على السرير، مستندة إلى الوسائد خلفها، وقد غطت ساقيها بشال من الحرير. وكانت قد وضعت نظاراتها القاتمة جانباً بينما بدا الارهاق على وجهها.

حيث ميع بابتسمة باهتة وهي تقول: «تعالي واجلسي بجانبي، يا عزيزتي». ومدت يدها تقبض على يد ميع بشدة وهي تستطرد: «إن وجودك هنا حسن جداً إذ منحنا الفرصة لكون أصدقاء. أليس كذلك؟»

قالت ميع بسرعة: «نعم... نعم، طبعاً». ولكن شعورها بخداعها اشتد وقعه على نفسها.

عادت السيدة تقول: «إن هذا يجعلني سعيدة». وسكتت برهة ثم استطردت قائلة: «إن جيروم كان متشككاً بالطبع، بالنسبة لطريقة حياتك في إنكلترا، والفرق بين عمرينا. وقد شعر أنه كان على أن أستشيره قبل أن أرسل بدعوك».

قالت ميع: «بيدوا أن السيد جيروم مونتكورت يريد أن تكون كل الأمور، هنا، حسب مشيئته».

قالت السيدة بعد فترة صمت: «لقد كانت أسرتنا وأسرته دوماً جارتين. وقد كنت... سعيدة جداً حين عاد ليقيم في منزله، فقد بقى المنزل سنوات طويلة دون رجل. وكانت عودته نعمة علىي، لأنني صرت استطيع أن استعين بخبرته في خطتي لاصلاح ما أفسده الاهتمام الطويل في هذا المنزل». ابتسمت وهي تتبع: «وهو قد جدد حيوتي أيضاً».

وحدقت في ميع بعينيها الكليتين وهي تستطرد: «ربما تتساءلين عما جعل الأمور تتأخر طيلة ذلك الزمن، ولماذا لم تكن الاصلاحات الضرورية تجري في المنزل كما يجب».

قالت ميع: «قد خطر لي هذا فعلاً».

قالت السيدة ببطء: «لم تكن تلك رغبتي. ولكن زوجي لم يكن ليخشو بالمال في سبيل اصلاح المنزل، ذلك أنه عندما أدرك أننا لن نرزق أولاً، وأنه سيكون آخر فرد في سلالته، بدا وكأنه قد فقد كل اهتمام بالمنزل، وكأنما كان يريد أن ينمحى من الوجود. ولم يكن بإمكانني اقناعه بغير ذلك، بأية وسيلة».

قالت ميع بحرارة: «إن هذا أمر معيب حقاً. كيف أمكنه التصرف بهذا الشكل؟»

فهزت العمّة كتفيها وهي تقول: «أظن أن المسألة كانت بالنسبة إليه، كما قالت السيدة دي بومبارور (من بعدها الطوفان). لقد كانت اهتمامات هنري منصرفة إلى أمور أخرى».

قالت ميغ: «ولكن من الممكן أن يصبح مثل هذا المكان رائع الجمال.»

فقالت العمة بقوه: «وسيصبح كذلك، إن جيروم هو خبير في الاصلاح والترميم، وسيعود قصر هاوت أرينبياك متالقا كما كان، وستريين.»

قالت ميغ بحذر: «أرجو ذلك.»

فقالت العمة وهي تلوي شفتها: «لا يبدو عليك الاقتناع بهذا الكلام، يا عزيزتي، ولكن، عليك أن تثق به، إنني أريدكما أن تكونا صديقين، وهذا شيء مهمني جداً.» ونطقت بجملتها الأخيرة بالحاج مفاجئه.

فقالت ميغ بهدوء: «إنني لا أعرف، في الحقيقة، ما إذا كان هذا ممكناً.»

اشتدت أصابع العمة على يدها وهي تقول: «هل الأمر سيء إلى هذا الحد؟ لقد كان صوت وقع خطواتك وأنت قادمة إلى غرفتي، مضطرباً، كما تراءى لي، وكذلك يدرك كانت ترتجف قليلاً. هل كان جيروم يضايقك؟»

غضت ميغ شفتها وهي تقول: «يمكنك أن تقولي هذا.» ومع أنها مسحت عينيها من الدموع جيداً، فإنها سرت لعدم استطاعة السيدة أن ترى وجهها.

ضحكـت السيدة دي بريـسو وقالـت بـعطفـ بالـغـ: «إن ذلك الفتـى لا يـمـكـنـ تـقـويـمهـ، فـهـوـ مـولـعـ بـالـاغـاظـةـ. إـنـهـ يـشـبـهـ جـدهـ فـيـ صـفـاتـ كـثـيرـةـ، كـمـاـ يـحـمـلـ اـسـمـهـ أـيـضاـ.» وـتـنـهـدتـ وـهـيـ تـنـابـعـ: «وـلـكـنـهـ طـبـعاـ، لـاـ يـضـرـ لـكـ أـيـ ضـرـرـ. وـيـجـبـ أـنـ تـنـقـيـ بـكـلامـيـ، كـمـاـ أـنـ لـقـاءـكـاـ الـغـرـيبـ ذـاكـ أـثـنـاءـ تـلـكـ الـعـاصـفـةـ، كـانـ شـاعـرـياـ تـامـاـ. أـلـاـ تـظـنـينـ ذـاكـ؟»

حتـتـ مـيـغـ رـأـسـهـاـ تـجـيـبـهـاـ: «لـقـدـ كـنـتـ فـيـ حـالـةـ مـنـ الرـعـبـ بـحـيـثـ لـمـ أـحـظـ ذـلـكـ.»

تركتـ السـيـدةـ يـدـ مـيـغـ بـرـقةـ، وـهـيـ تـقـوـلـ: «وـلـكـنـ شـكـراـ عـلـىـ سـلامـتـكـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ. وـطـبـعاـ الشـكـرـ لـجـيـرـوـمـ. إـنـ الصـيـنـيـيـنـ يـعـتـقـدـونـ أـنـكـ إـنـاـ أـنـقـذـتـ حـيـاةـ أـحـدـ، فـإـنـكـ سـتـبـقـىـ مـسـؤـولـاـ عـنـ تـلـكـ الـحـيـاةـ إـلـىـ الـأـبـدـ.»

أـرـغـمـتـ مـيـغـ نـفـسـهـاـ عـلـىـ الـابـتسـامـ قـائـلـةـ: «حـسـنـاـ. إـنـ فـيـ إـمـكـانـيـ العـنـيـاهـ بـنـفـسـيـ. وـهـذـاـ مـاـ كـانـ عـلـيـكـ أـنـ تـهـتمـ بـهـ، إـذـ أـنـ هـذـاـ الـوقـتـ هـوـ وـقـتـ رـاحـتـكـ، كـمـاـ أـظـنـ.»

تجهمـتـ مـلـامـحـ السـيـدةـ وـقـالتـ: «لـمـ يـكـنـ مـنـ السـهـلـ عـلـىـ هـذـاـ النـهـارـ، أـنـ أـنـامـ، وـذـلـكـ لـشـدـةـ سـعـادـتـيـ بـوـجـوـدـكـماـ، أـنـتـ وـجـيـرـوـمـ، مـعـاـ تـحـتـ هـذـاـ السـقـفـ.» وـتـنـهـدتـ وـهـيـ تـابـعـ قـائـلـةـ: «إـنـ عـقـلـيـ مـشـتـتـ.»

سـأـلـتـهـاـ مـيـغـ بـرـقةـ: «هـلـ تـرـيـدـيـنـتـيـ أـنـ أـقـرـأـلـكـ؟ إـنـ الصـحـفـ لـمـ تـحـصـلـ بـعـدـ، وـلـكـنـتـ وـجـدـتـ كـتـابـ شـعـرـ رـائـعـاـ فـيـ الـمـكـتبـةـ.» بـداـ وـكـانـ السـيـدةـ جـفـلـتـ قـلـيلـاـ وـهـيـ تـقـوـلـ: «أـحـقـاـ؟ أـيـمـكـنـ أـنـ تـعـطـيـنـيـ إـيـاهـ؟»

وـوـضـعـتـ مـيـغـ الـكـتـابـ بـيـنـ يـدـيـهاـ، فـأـخـذـتـ هـذـهـ تـقـلـيـهـ وـتـنـحـسـسـهـ بـرـقةـ بـالـغـةـ. ثـمـ قـالـتـ: «شـمـةـ قـطـعـةـ مـنـ الـشـعـرـ تـبـتـدـيـ بـكـلـمـاتـ هـيـ (ـحـبـيـ الـوحـيدـ، حـبـيـتـيـ الـتـيـ تـسـعـدـنـيـ)ـ هـلـ يـمـكـنـكـ أـنـ تـجـدـيـهـاـ، يـاـ عـزـيزـتـيـ؟»

وـاستـنـقـتـ إـلـىـ الـخـلـفـ مـغـمـضـةـ عـيـنـيـهاـ، عـنـدـمـاـ اـبـدـأـتـ مـيـغـ تـقـرـأـ بـشـيـءـ مـنـ الصـعـوبـةـ فـيـ الـبـداـيـةـ، وـتـعـشـرـ لـسـانـهـاـ بـبعـضـ الـكـلـمـاتـ وـالـجـمـلـ الصـعـبـةـ الـمـهـجـورـةـ. وـعـنـدـمـاـ أـنـهـتـ أـوـلـ قـطـعـةـ اـتـبـعـتـهـاـ بـأـخـرـىـ، وـهـيـ تـخـفـضـ مـنـ صـوـتـهـاـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ،

إلى أن انتظم تنفس السيدة دي بريسو معلناً استغراقها في النوم.

وتركت ميع الكتاب يسقط في حجرها، ومضت تتأمل ذلك الوجه النبيل أثناء سكونه، ورأت أن هيكل السيدة قد تحدى الأيام. ولم يكن هنالك شك في أنها كانت رائعة الجمال في زمان مضى. ورأت كذلك، آثار دموع الوحدة والعزلة، على خديها.

ألقت نظرة على الكتاب، وهي تتساءل عما إذا كان فيه ما يذكرها بزوجها الراحل، لما أحدثه من ردة فعل عندها حينما ابتدأت هي تقرأ لها فيه، ربما كان هذا الكتاب له. أو ربما كان يشير إلى علاقة غرامية غامضة... وفتحت الكتاب على الصفحة الداخلية البيضاء لتجد كتابة، بخط اليد بهت لونها بمرور الزمن ولكنها ما زالت مقرودة. وكانت تقول، ببساطة: (إلى مارغريت. من كل قلبي... ج.)

وحدقت ميع في هذا الحرف (ج) الموقعة به هذه الكتابة. ولكن السيد دي بريسو، زوجها، كان اسمه هنري. وأغلقت الكتاب وقد ساورها شعور بالضيق في أنها أقحمت نفسها في مسألة خاصة جداً. ذلك أن هذا الكتاب كان يعني شيئاً خاصاً للعمة، ولكن ليس كما تصورت هي. وبدا عليها خيبة الأمل. إذ بدا لها، تبعاً لما سبق وأخبرتها هذه المرأة المسنة، أنها قد تركت، وشأنها، فترة طويلة. هل معنى هذا أن السيد دي بريسو قد أهمل زوجته الانكليزية بنفس الطريقة التي أهمل بها منزله...؟

وعاودها صوت أوكتافيان الخشن يقول بنفور وكراهية (انكليزية) أوكتافيان الذي خدم جيروم الأول... جيروم

مونتكورت الآخر إلى أن ترك هذا، المنزل دون عودة. ازدردت ريقها، وهي تتذكرة بعض الكلمات الغرامية الملتهبة، والتي تشكو الحرمان فقد الحبيب التي قرأتها منذ فترة، بصوت عال. هل كان هذا ما حدث؟ كانت تتساءل بذهول، عما إذا كان جد جيروم قد وقع في غرام جارته الجميلة الوحيدة، ليتخلى عنها، بعد ذلك، متسللاً من كل ارتباطاته. لم تكن تعرف ما الذي حدث بالضبط بالنسبة لهذه الورطة، في ذلك الحين، ولكنها تعرف أن الطلاق، في ذلك الحين، لم يكن سهلاً أبداً.

هل كان هذا هو في أن يرغم جيروم الجد على أن يهجر منزله ليعيش في المدينة؟ وهل هذا هو سبب كراهية أوكتافيان المرة لكل ما هو انكليزي؟ وهو أن سيده المحبوب أرغم على الرحيل بسبب تورطه مع انكليزية؟ كان كل هذا معقولاً إلى درجة مروعة، وهي تفسر عاطفة السيد دي بريسو وثقتها في جيروم الحالي.

عادت إلى ذاكرتها كلمات فيليبيين (إنه كالابن الذي لم تحصل عليه قط). وتوقف قلبها عن الخفقان وهي تفكير في أنها هي، طبعاً، كانت ابنتها الروحية المنسية، أو كما تفترض السيدة بها على الأقل. فتاة استدعئت إلى هذا المكان بالذات، وفي هذا الوقت بالذات، ولكن، لأي سبب؟ ازدردت ريقها وهي تفكير في كلمات السيدة، (أريد كما أن تصبحا صديقين. وهذا شيء يهمني جداً)

وفكرت ميع في أنها ربما كانت مبالغة في تصوراتها، ولكن هل من الممكن أن يكون وراء دعوة السيدة لمارغوت غرضاً أعمق مما تصورته هذه؟

الابن الذي لم تنجبه قط، والفتاة التي فقدت الاتصال بها، جمعتهما معاً تحت سقف واحد، كما أعلنت العمة، منذ برهة، وهي في غاية الابتهاج، لتلقى بالواحد منها بين ذراعي الآخر مدة أربعة أسابيع كاملة تحت شمس لأنغيديوك الملتهبة. هل كانت هذه خطة السيدة السرية؟ الحلم الشاعري بإعادة خلق الماضي؟ ولللامتنان إلى أن ميراث هاوت أرينياك سيستمر إلى الجيل القادم؟

إذا كان الأمر كذلك، فهو جنون محض محكوم عليه بالفشل لعدة أسباب، السبب الأول هو، بالطبع، الوضع المخادع لممigu و الذي يسبب لها ندماً هائلاً. أما السبب الثاني فهو، الصديقة القديمة التي اتصلت به عند وجودها في مسكنه. ذلك أن الدفع الذي كان في لهجته وهو يتحدث إليها، لا تخطئه. اذن، كان واضحاً من أن ثمة علاقة عاطفية متينة تربط بينه وبين المرأة الأخرى.

ولكن، إلى أي حد يعرف جيروم خطة العمة إذا كانت موجودة فعلاً خارج تصوراتها؟ وإذا كان يعرف فهل هو يقبل مثل هذا الزواج المدبر، من غريبة؟ وذلك في سبيل أن يصبح سيد قصر هاوت أرينياك؟ وذكرت نفسها، وهي تترجف، كيف ابتدأ محاولاته لإيقاعها في حبه.

وبعد، ما الذي تعرفه هي عنه؟ في الحقيقة، لقد كان غامضاً منذ البداية. كان جسماً قاتماً إنبعث عن العاصفة بنفس الخصائص التدميرية.

لقد كانت دوماً في انتظار تلك الحب الذي سيطرق قلبها بكل رقة وعدوية، متظوراً من صداقة، تغذيه ميول مشتركة. وليس مثل هذا الشعور الكاسح المعنى المحطم للقلب

والحافل بالرغبة والذي هو لا يشاركها به، وليساعدها الحظ. كانت تلك هي الحقيقة المرة التي عليها أن تتمسك بها مهما كلفها ذلك، دون النظر إلى أي اعتبارات أخرى. شوقيه، لهفته، كل هذا لم يكن لها قط، بل كانت لمارغوت ترانت وعندما تتذكر هي هذا، يمكنها عند ذاك، أن تحفظ نفسها بأمان.
وبهدوء، وضعت الكتاب على المنضدة بجانب السرير، لتخرج، بعد ذلك، من الغرفة على رؤوس أصحابها.

بسرعة دون ان يغفلوا عن تقديم التهاني لها بنجاتها من هذا الحادث.

وفكرت عابسة في نجاتها هذه التي كانت أشبه من الذي ينجو من المقلة، ليقع في النار.

وأثناء ليلة انتابها فيها الأرق، أخذت تقلب في ذهنها ما إذا كان من الأفضل ان تكشف اللعبة التي تقوم بها، قبل ان يزداد الضرر.

ولكن تفكيرها في الواقع الذي سيكون لهذا، والذي لا يمكن تجنبه، منعها من ذلك. كان عليها ان تبقى على صمتها لأجل مصلحة مرببتها... وكذلك لأجل السيدة دي بريسو، إذ ان العمدة ستكون في غاية الاستياء عندما تعلم ان ابنته الروحية قد استعملت الابتزاز لكي تجعل فتاة أخرى تحل مكانها في مرافقها، وستتالم أيضاً. ويكتفي مقدار الحزن المرتسم على وجهها الآن.

ربما لا تريد ان تعلم ان مارغوت الحقيقية فتاة أنانية تبحث عن المال، وتحب رجالاً متزوجاً، وأن هذا هو السبب في هذه التمثيلية الخادعة. وان من الأفضل ان تبقى العمدة على هذا الوهم أطول وقت مستطاع. باستثناء الوقت الذي ستتورط فيه مع جيروم في المستقبل. عليها ان تذكر دوماً هذه المقررات. إلا إذا كان الأمر كله مجرد تخيلات منها... خاطبت نفسها بعناد، إنها لا تظن ان الأمر إنما هو تخيلات منها. ونظرت في ساعتها، ثم أشارت إلى النادل ليحضر لها قائمة الحساب. وقبل ان تنصرف إلى موعدها بجانب المعبد، كان عليها ان تتصل هاتفياً من المقهى. وكانت العمدة قد سالتها ليلة أمس عما إذا كانت قد أجرت

الفصل الثامن

أنهت ميع قهوتها، وكذلك آخر فتات قطعة البسكوت التي قدّمت معها، فقد كانت مسرورة بجلوسها هناك تحت المظلة في ذلك المقهى على الشارع، لتراقب المارة. ولكن الوقت قد حان الآن لكي تذهب لمقابلة جيروم، كما كان مقرراً، خارج الباب الجنوبي للمعبد.

وتنهدت وهي تشعر بالانفعال يجتاحها. لم يكن بامكانها تجنب مرافقته هذا النهار، فقد أدلت برأيها في إمكان استقلالها، وذلك على مائدة العشاء، في الليلة السابقة، ولكن السيدة كانت شديدة العناد في أن يرافقها إلى مدينة آلبى قائلة لها: «فقط، بالنسبة لأول مرة يا عزيزتي.»

وقد استمتع جيروم بخيتها هذه، ثم تمنى لهما ليلة طيبة بعد العشاء مباشرة، ليخرج بعد ذلك. ولم تسمع ميع لنفسها بالتكلّم بالمكان الذي قد يكون ذهب إليه، أو من عسى أن يكون مرفقاً، في هذه الليلة الهادئة. وكان الاضطراب لا يزال يتملكها وهي تندفع من أرينياك في الصباح الباكر، تقود سيارة الستروان التي ما زالت، لشدة العناية بحالة رائعة رغم قدمها.

لقد قال جيروم، أخيراً، بأدب: «إذا شئت أن تصلي إلى آلبى هذا النهار، يا جميلتي فعليك ان تتبعي القيادة دون ان تستمري في اعتباري مراقباً عليك.»

وانتهت الاجراءات المعتادة بالنسبة للسيارة المستأجرة

الاتصال الهاتفى مع منزلها في لندن، وقد دلتها على الهاتف الذي في الصالة. وكانت تخشى من أن تسمع العمة حديتها بأجمعه بما قد يتضمنه أشياء محرجة، ولكنها شعرت بالارتياح إذ وجدت الخط مشغولاً مرة أخرى.

ولما حاولت مرة أخرى، هذا الصباح من المقهى، استغربت لأن تجد نفس النتيجة. ولما حاولت ان تتصل بمربيتها قابلها الخط، هنا أيضاً، بعدم الجواب.

حدثت نفسها، وهي تضع السماعة، بأنها قد حاولت على كل حال، ولكن كان عليها ان تكرر ذلك من القصر أثناء راحة العمة في غرفتها، إذا أمكنها ذلك.

كان جيروم في انتظارها عند المدخل الجنوبي لذلك المعبد.

سألته: «هل ترانى تأخرت؟»

فأجاب: «إن مواعيده دققة بشكل رائع..»

سألها وهو ينظر إلى المعبد ببنائه الضخم ذي القرميد الأحمر: «هل تريدين ان ترى متحف رسومات لوثرىك؟»

دهشت ميع وقلت: «ظننت أننا نرجعان إلى المنزل مباشرة؟»

رفع حاجبيه قائلاً: «لماذا؟ إنها مدينة رائعة الجمال..»

فأجابت: «إنني متأكدة من ذلك، ولكن هذا لا يعني أنتا نحن الاثنين، باماكننا ان نمضي النهار هنا..»

فسكت لحظة، ثم قال: «هل نعلن بيننا هدنة، يا مارغريت، لكي أريك المدينة؟»

وفكرت في أنه لم يحاول استنكار قوله ذاك. ونظرت إلى ابتسامته الهازلة وعينيه المتالقتين، شاعرة بقلبها يتوجب بين أضلعلها.

قالت: «حسناً، فليكن ذلك..»
كان متحف الرسام لوثرىك قائماً في باليه دى لا بيربى
وهو قصر قديم.

قالت ميع وهي تنظر إلى رسوم المولان روج الصاحبة:
«إننى أشعر تقريباً وكانتني أجتمع بأصدقاء قدماء..»
سألهما: «أتعجبك؟»

فأومأت برأسها قائلة: «نعم، ربما لأنها مألوفة لدى..
ولكننى في الحقيقة، أفضل تلك الرسوم التي سبق
ورأيناهما قبل هذه والتي تمثل أفراد أسرته وأصدقائه.
انها أكثر هدوءاً وتأثيراً في النفس..» وتنهدت وهي تتبع:
«إننى أتساءل عما كانت ستؤول عليه حياته، لو لم يكن
معاقاً..»

فقال: «ربما، عند ذاك، كان سيعيش حياة تقليدية
فيتزوج وينشئ أسرة، فتصهر بعض عواطفه المحمومة
التي وضعها في فنه هذا، لتلاشى في نشاط حياته
الاعتية ذلك..»

قالت ميع بشيء من الاكتئاب: «ربما الأفضل لو كان
أمضى حياة سعيدة..»

فقال: «ولكن النهايات السعيدة ليست ممكنة، على
الدراهم، ألم تتعلمي ذلك بعد؟»
فكرت، وهما يخرجان إلى أشعة الشمس مرة أخرى، في
أنهالم تتعلم ذلك رغم أنها سائرة فعلًا إلى تلك النهاية غير
السعيدة.

أخذها إلى القسم القديم من المدينة، حيث جالت فيها
تكتشف اتجاهها بسرور بالغ، خاصة وهم يجتازان الأزقة

الضيقه ببيوتها الخشبية، وكانت البيوت الجائمه على حافة النهر مبنية كلها من الحجارة الحمراء الوردية.

قال جيروم: «إن مدينة ألبى أعطت اسمها طبعاً، للذين غزوا المدينة، وهكذا صاروا يدعون البيجنزيان. وقد بقي بعض الكاثار وآثارهم في هذه المدينة بالرغم من المذبحة الكبرى المدعوه مونت زيفر».

قالت متأملة: «ومع ذلك، لا يبدو أثر للحزن هنا، يبدو ان مدينة ألبى قد تصالحت مع ماضيها».

فقال: «كل شيء يمحوه الزمن..»
هذت رأسها ساهمة... نعم، وكذلك يمحو الزمن آلام الحب، وتعاسته، وحماقاته...»

قال بنشاط: «والآن، إلى الغداء..»
فعضت شفتها قائلة: «وهل لدينا الوقت لذلك؟ أليس علينا ان نعود إلى البيت؟»

قال متصنعاً الفزع: «في مثل هذا الوقت من النهار؟ عليك ان تتعلم التفكير كامرأة فرنسيّة، يا عزيزتي..»
 أمسك بذراعها يقودها بين جموع السائحين المتسكعين على الأرصفة.
أجابته بجمود: «لا أظن ما قلته ضروريًا، فانا ساعود إلى دياري بعد فترة قصيرة».

أجاب: «ربما استطعنا اقناعك بالبقاء مدة أطول..»
هذت رأسها قائلة دون ان تنظر إليه: «لا أظن ذلك..»
قال: «إنك تقولين ذلك الآن، ولكن من يعلم ما يخبئه
القدر لنا نحن الاثنين؟»

تجاهلت كلامه، وبقيت على اصرارها قائلة: «على كل حال، أنا لست جائعة».

قال باختصار: «حسناً، أنا جائع، ويمكنك ان تجلسني وتتفرجي علي». ومديده يجذبها بثبات انما برقه في الوقت نفسه، مما لم يدع لها خياراً إلا بالسير معه.

أخذها إلى مطعم صغير في شارع جانبي ضيق مزدحماً بالزبائن. ووجدت نفسها تجلس على مقعد مستطيل بجانب جيروم حيث أخذها يستطلعان أنواع الطعام المخطوطة باليدين على القائمه.

كانت ميع قد قررت ان تبقى بمعزل عن كل هذا، ولكن رائحة الطعام الآتية من المطبخ حرك شهيتها. وبإرشاد جيروم، وجدت نفسها أمام طبق من الرافيولي، تبعه طبق من لحم الخروف مطبوخاً بالثوم والتوابل.
وعندما انتهت من الطعام، قالت: «يبدو انني لا أقوم بشيء سوى الأكل».

قال وعيشه بتبتسمان لها من تحت أهدابهما الكثيفة: «ان زيادة قليلة في الوزن تناسبك. وإنما ليس كثيراً، طبعاً». شعرت بالدم يتتساعد إلى وجهها، ورفعت كأس العصير إلى فمها تداري بذلك اضطرابها.

قال لها: «ما أسرع ما يتضرج وجهك. ما كنت متوقعاً ذلك».

قالت: «وما الذي كنت تتوقعه؟»
بقي صامتاً لحظة، ثم قال: «كيف يمكنني ان أشرح الأمر؟ صحيح ان ما كانت تتذكره السيدة دي برييسو عن طفولتك جعلني... أهتم بالأمر، ولم أسألها ان تأمل خيراً من إعادة الصلات».

سأليته: «هل ظلتت بأن أملها سيُحب؟»

هز كتفيه قائلًا: «كان هذا ممكناً، ذلك أنها لم تترك منذ طفلة، وكان انتباها عنك غير حسن..»
 قالت: «تبأ... هل كانت تصرفاتي مخيفة؟»
 قال: «انها تذكر أذك كنت مدللة. أكثر نضجاً من سك.
 تتطلبين الصداره في كل شيء وتركيز الآخرين اهتمامهم
 في شخصك وتقرضين أراءك وحدها في كل أمر.»
 قالت باشمئزاز: «وبكلمة مختصرة، طفلة مفسودة،
 ولكنني أظن ان تلك مرحلة من العمر يمر بها كل شخص..»
 وفي نفسها، فكرت في ان البعض لا يتغير تماماً مثل
 مارغوت الأنانية عديمة الرحمة، ورفعت اليه نظرها وهي
 تقول: «لا أظنك تحاسبني على هذا، أم ان هناك شيئاً آخر؟»
 وبقيت ملامح وجهه خالية من التعبير وهو يقول:
 «وماذا يمكن ان يكون هناك؟ إن كل ما يهمني هو حماية
 السيدة مارغريت. فقد لاقت من الشقاء في حياتها ما يكفي.»
 وحدقت لحظة في غطاء المائدة الأبيض النقفي، ثم قالت:
 «هل تعرف زوجها؟»

هز رأسه بالنفي قائلًا: «أعرفه بالسماع فقط. فقد توفي
 منذ سنين كثيرة.» ودللت لهجته على أنه يعتبر وفاة هنري
 دي بريسو ليس أمراً ذا شأن.»

قالت ميع بعنایة: «فهمت ان زواجهما لم يكن ناجحاً.»
 أجاب عابساً: «لقد كان كارثة، لقد كان جبهما عبارة عن
 افتتان عابر استعمل ثم خمد في خلال سنة واحدة، تاركاً
 إياهما مقيددين الواحد بالآخر. لقد كان هنري يكره الحياة
 في الأرياف، وهكذا ترك مارغريت وحدها في القصر
 لتعتنى بيارثه، بينما أمضى هو حياته بين ميادين السباق

والنواحي. وكان يعود إلى البيت عندما يحتاج إلى نقود فقط. وكانا، أحياناً، يصلان إلى تسوية سرعان ما يتعلمه بعدها الضجر، فيرحل..»

سالته بشيء من الدهشة: «هل أخبرتك هي بكل هذا؟»
 تردد قليلاً، ثم قال: «كلا... أخبرتني ببعضها فقط.»
 ورشقت ميع بعض القهوة وهي تفك في ان استنتاجاتها
 بهذا الشأن لم تكن بعيدة عن الحقيقة. وإذا لم يكن جيروم قد
 استقى معلوماتهحزينة هذه عن زواج العمّة مارغريت من
 جده، فمن أين سيسقّيها إذن؟

قالت: «لقد أوضحت لي العمّة السبب في تعرض القصر
 للاحتمال، بهذا الشكل وهو... حسناً، إن تصميماً على ان
 تقوم الآن باصلاحه، هي فكرة حسنة.»

قال بلهجة جافة: «إنها ممتازة..»

قالت: «إنتي أتساءل عن السبب الذي جعلها تنتظر حتى
 الآن..»

هز كتفيه قائلًا: «الأفضل ان تسأليها هي عن ذلك.» ولم
 تكن لهجته مشجعة. أخذت تتبع بأصابعها الصور التي تزين
 صحن فنجانها، لحظة، ثم عادت تقول: «أظن... أظن ان
 العمّة تحاول ان تعيد الماضي إلى الحاضر نوعاً ما.»
 وازدردت ريقها وهي تتتابع: «هل تعرف أنت هذا؟ هل يمكنك
 ان تفهم قصدي؟»

قال دون ان يظهر على وجهه أي تعبير: «أظن ذلك.»
 تابعت تقول: «شعرت بأنك تعلم.» وجف فمها فجأة وهي
 تتتابع: «يجب ان أخبرك بأن ما تريده العمّة هو مستحيل. ولا
 يمكن أن يحدث.» وازدردت ريقها مستطردة: «أظن هذا واضح..»

قال جيروم وهو يشير إلى النادل طالباً قائمة الحساب:
«ليس بك حاجة لهذا.»

قالت: «بل ثمة حاجة، ذلك ان الأمر سخيف لا يقبله عقل..»
قال بابتسمة صغيرة: «سخيف جداً يا جميلتي، فلا
تزوجي نفسك بالنسبة إلى ذلك بعد الآن.»

قالت: «ولكن كان على أن آتي على ذكر ذلك لأنه إذا كان
عليَّ ان أشتغل معك بطباعة تلك الأوراق، فسنكون مرغمين
على قضاء وقت طويل معاً.»

قال جيروم وهو يعد الأوراق المالية: «كما تشاءين،
وستبدأ العمل اليوم بعد الظهر.»

وغاص قلب ميغ ولكنها تمالكت نفسها لتقول: «أردت
بهذا ان يكون ثمة أساس مهني لعلاقتنا من الآن فصاعداً.»
قال: «كعلاقتك مع مخدومك؟»

غضت شفتها قائلة: «طبعاً.»

قال: «أتريدين ان تخبريني أنك اشتغلت مع هذا الرجل
كل ذلك الوقت وهو الشاب الوسيم ذو النفوذ، دون ان
تسألي نفسك عما تراه يكون كحبيب؟ أم انه لم يلاحظ
جمالك وجاذبيتك، أو انه لم يحاول ايقاظ مشاعرك
الراقدة؟»

قالت وهي ترتعش: «صدق ما تشاء. إن ما أريد ان أقوله،
هو انني لا أريد ان أشعر بأي ضيق أثناء عملِي معك، وإذا لم
توافق على هذا، فإن أي تعامل بيننا في حكم المنتهي،
وسأخبر العمدة بالسبب.»

فالتوى فمه وقال: «عجبًا، أتخيلنها ستستاء؛ ربما
بالنسبة إلى أحلامها الحمقاء عنا، سيسئها ان تعلم انني

أريدك.» والتفت عيناه بعينيها وهو يتبع: «إعادة الماضي
إلى الحاضر. أليس هذا كلامك؟»

أجابت بصوت متهدج: «ولكن، ربما لن تعجبها حقيقة
أنك إنما ت يريد ان تسلّي نفسك فقط، خصوصاً إذا أنا أخبرتها
ان عندنا، نحن الاثنين ارتباطات أخرى.»

ساد الصمت فترة وقد توترت شفتاه، ولكنه لم ينكر ما
قالت. وأخيراً قال: «هل أنت متأكدة، يا جميلتي، ان بامكانك
المحافظة على هذا الوضع... المهني، فنبقي بعيدين عن
بعضنا البعض أثناء الساعات التي سنمضيها معاً؟»

قالت: «نعم.» وارتعدت دقات قلبها، وهي تفك بمرارة،
في انه ليس أمامها خيار آخر.

ضحك قائلة: «ما أشد ما أنت متأكدة من ذلك.» وشملها
بنظراته ساخراً وهو يتبع: «إنني أراهن، يا عزيزتي انك
أول من سيخرق هذا القرار الذي تفرضينه.» وانخفض
صوته إلى درجة الهمس وهو يتبع: «إنك أنت ستاتين إلى،
يا مارغوت، لأنك لن تستطعي مقاومة نفسك، ونحن الاثنين
نعرف هذا.»

وقف، فوقت هي الأخرى تواجهه قائلة بصوت أحش:
«إنني أقبل تحديك هذا، أيها السيد. وأننا ندرك بأنني
ساقاومك بكل جهدي.»

قال بلطف: «إذن، فقد انتهت المدنة.» وأخذ يدها يرفعها
إلى شفتيه يقبل أطراف أصابعها، ثم قال: «والآن، فلنعد
إلى هانت أرينيايك ولنجرب قرارك هذا.»

ثم قفل راجعاً أمامها إلى سيارته.
جلست هي إلى جانبه فريسة للاضطراب وتعدد

المشاعر، بعيدة عن الشيء الوحيد الواضح، وهو ان علاقتها مع جيروم لم تكن فقط مسألة ضبط النفس، وإنما حماية النفس.

ومن شدة استقرارها في ورطتها هذه، لم تلحظ أنهما قد استدارا متوجزين طريق أرينياك. ولم تدرك الأمر إلا بعد ان وصلتا إلى الطريق المؤدية إلى منزله، عند ذلك استقامت في جلستها قائلة بحدة: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

أجاب: «لأحضر أنتي الطابعة إذ ليس هناك واحدة في القصر. ذلك ان السيدة مارغريت ما زالت تفضل الكتابة اليدوية».

كان هذا تعليلاً معقولاً، ولكن ميعن تصلبت في جلستها وهي تقول: «هل علينا ان نبدأ العمل اليوم؟ ألا يمكنك إحضارها غداً صباحاً؟»

ابتسم لها ساخراً وهو يقول: «سأمضي هذه الليلة في القصر، فإن عندي غرفة هناك. إنني متأكد من ان فيليبين أخبرتك بذلك. ثم انه كلما استعجلنا بعلاقتنا المهنية، كان ذلك أفضل. وأنا أعلم انك توافقين على ذلك، يا جميلتي». أوقف السيارة قرب المنزل، وفتح بابها وهو يقول هازلاً: «هل تفضلين انتظاري هنا؟»

أجابت باقتضاب: «هذا حسن».

وعندما توجه نحو الباب، برز أوكتافيان، ومن ثم وقف الاثنان يتهدثان. لا بد ان الموضوع كان مستعجلًا لأن أوكتافيان كان يتكلم بقوة مشيرًا بيديه وقد بان الاهتمام على وجهه.

وبعد لحظة، رأت جيروم يستدير ليلاقي نظرة على

السيارة، عابس الوجه. وحدثت نفسها بأنهما يتحدثان عنها، وتملكتها موجة من الامتعاض، ففتحت باب السيارة، ثم ترجلت منها، مبتعدة عنهما في حركة التفاف واسعة حول زاوية المنزل حيث دوالي العنب تغطي جانب الوادي. ووقفت تحدّق في تلك الصفوف المنتظمة للدوالي، مصغية إلى طنين صر صار العشب.

سمعت صوت خطوات على الحصى خلفها، فالتفت لترى أوكتافيان قادماً نحوها وهو يحمل مجرفة على كتفه. كان وجهه عابساً، وعيناه القاتمتين يتجلّى فيهما الشك والعداء تحت حاجبيه الكثين. وعندما ألت علىه التحية، أجابها بإيماءة بسيطة من رأسه.

قالت: «أوكتافيان، إن سيدك هو الذي أراد احضارك إلى هنا، وليس لك ان تقلق. انني أعرف سبب خوفك وأريد ان أخبرك بان الأمر لن يكون كالسابق، ليس كما كان مع السيد جيروم الجد».

وستانت، ولكنه لم يقل شيئاً، ولم يبد على وجهه ما يشبع. وتابعت كلامها بشيء من اليأس: «إنني لن أعود إلى هنا... إلى المسكن هذا، مرة أخرى، وفي آخر الشهر سأعود إلى انكلترا نهائياً». وحاولت ان تبتسم وهي تتتابع: «أما السيد جيروم فلن يرحل عن هذا المكان. وإذا حدث هذا فلن أكون أنا السبب».

ولكن ملامحه لم تتغير، بل قال بصوت خشن: «سواء ذهب هو أم بقي فإنك، أيتها الانكليزية، تجلبين التهامة معك. انني أعلم هذا، فأنا أرى وأسمع». وأومأ برأسه متتابعاً: «ليس لك عمل هنا، وعلى السيد جيروم ان لا يهتم بك أو

بالألم الذي تسببينه له.» وتنقضت يداه وأخذ يلكم الهواء وهو يقول متمتماً: «إنها التعasse على الدوام..» وألقى عليها نظرة استياء أخيرة، ثم تابع طريقه إلى الكروم.

أخذت ميع تعزي نفسها وهي تستدير مبتعدة، بأنها حاولت جهدها معه، وارتفع نظرها إلى الطابق الأعلى من المسكن حيث النافذة الواسعة والتي لن يكتب لها أبداً ان ترافق الفجر منها، ثم وقفت مصعورة. ذلك أنها لمحت شخصاً واقفاً وراء الزجاج... شخصاً كان يتطلع إلى أسفل، ليبعدها بعد ذلك، بسرعة وكأنه لا يريد ان يظهر لأحد. كانت لمحه واحدة أدركت فيها ان ذلك الشخص كان امرأة، وأنها لم تكن بيرث مدبرة المنزل.

وارتفعت خفقات قلبها، حسناً، ما الذي كانت تتوقعه على كل حال؟ فقد قالت بنفسها انهما، هما الاثنين، لهما ارتباطاتهما... ولكن القول شيء، والحقيقة شيء آخر تماماً.

وعندما وصلت إلى السيارة، كان جيروم يغلق صندوق السيارة وقد بدا على وجهه الاستغراق في التفكير. وتساءلت ميع، بمرارة، عما إذا كان ثمة عجب في ذلك. كانت تريد ان تسأله، أما كنت تتوقع قدوم صديقتك؟ وهل تراها غضبتك منك عندما رأيتني برفقتك؟ ولكن كرامتها منعها من ذلك. ان من الأفضل لها ألا يعرف أنها رأت ضيفته أبداً، فكيف تحدثه عن اهتمامها بها؟ ذلك كله سيفضح مشاعرها نحوه بالتأكيد.

ولا عجب أن لا يرحب بها أوكتافيان. وشعرت بغصة في حلقيها، إذ انه من المفترض أنه يتقبل وجود تلك السيدة في

غرفة النوم ولا يريد ان يعكر عليها أحد وجودها ذاك، خاصة هي بالذات.
حسناً، ليس له ان يقلق، لأنني أعلم الآن دون أدنى شك، ان لا أمل لي بجiroum ولم يكن ذلك من قبل قط.
خاطبتك نفسها بهذه الكلمات وقد اكتنفت نفسها وحشة لم تشعر بمثلها في حياتها من قبل.

الفصل التاسع

كان الجو في السيارة مشحوناً بالتوتر. فقد كان جيروم تائهاً مع أفكاره دون أن يحاول البدء بأي حديث مباشر. وكانت ميعج بدورها شاكرة هذا، فقد منحها الفرصة لتمالك أجزاء نفسها المشتلة.

ما أسرع ما تتغير الأشياء. فكرت في ذلك وقد ساورتها الرعشة. لقد كانا صديقين تقريباً، منذ أقل من ساعة فقط، والآن، ها هي الهدنة تنتهي لتشريع الأسلحة من جديد.

رمقته خلسة. كانت ملامحه متواترة، فإذا كان يفكر في تلك المرأة الموجودة في منزله، فإن أفكاره لم تكن تجلب إلى ملامحه أي قدر من السرور. فهي كانت تحس بذلك الغضب الكامن فيه، مشبهها بركاناً منتبراً انفجاره في آية لحظة.

ربما كان ظهورها في المنزل قد أحدث بينهما صدعاً لا يمكن إصلاحه. ولكن هذا لم يكن ذنبها هي. واخترق صوته افكارها المضطربة، يقول: «ما الذي كنت تقولينه لأوكتافيان؟»

أجاب: «كنت أحاول طمانته، ولكني لم أفلح..» وسكتت لحظة ثم أردفت: «إن أوكتافيان لا يريد إعادة الماضي، كذلك.»

صمت جيروم لحظة، ثم قال: «يجب أن تغفر لي ذلك. لقد كرس نفسه لجدي كلباً منذ الوقت الذي كانا يجوبان فيه

التلال وهو صبيان. وكان لا يرى المستقبل، واعادة المنزل الى الحياة، إلا من خلال هذه المصاحبة والعمل الشاق، وتوسيع الكروم ورؤيه أولادهما ينمون معاً حين يأتون». وتنفس بحدة وهو يتابع: «ولكن خيبة الأمل ملأت نفسه مرارة..»

قالت بيعله: «ولكنه يلوم العمة على كل شيء، وهذا ليس عدلاً..»

قال: «لماذا تقولين ذلك؟»

أجبت: «لقد كانت متزوجة. وجده كان عازباً. ربما كان عليه ان يتصالك نفسه ويفكر مرتين قبل أن يتورط معها. فان خسارته اقل من خسارتها هي..»

قال بهدوء: «هذه وجهة نظر هامة. ولكن الزواج، ولم يحطم الزواج. كان قد انتهى قبل أن يتدخل هو. فهو لم يحطم أية علاقة، وهذا فقط ما لا يمكن اغفاره، يا جميلتي، ألا تظنين هذا؟»

قالت: «ربما ليس لنا، نحن الاثنين، أن نصدر حكمآ بهذه القضية... من هذه المسافة البعيدة..»

أجاب: «حسناً، إن أوكتافيان يظن العكس. انه يشعر بأن خالتك كان يجب ان تذكر اليمين الذي أقسمته يوم زواجهما، حتى ولو لم يفعل زوجها ذلك.» وهز رأسه متتابعاً: «ربما كان ثمة شيء من أخلاق الكاثار ما زال معيشًا في تراب وحجارة لانغيروك.»

بقيت ميعج صامتة لحظة، ثم قالت: «ولكن، عندما حنت بيمينها، لماذا لم ترحل؟ فتهجر بيت الزوجية إلى الأبد؟ كان في استطاعتتها ان تؤسس حياة جديدة مع جدك... لم

يكن ثمة حاجة إلى أن يكونا، هما الاثنين، تعيسين.»
 قال بصوت ثقيل: «لم يكن الأمر بهذه البساطة، وقد لا يكون أبداً. لقد أوضحت هنري دي برييسو أنه لن يدعها تذهب. وأن ذلك الطلاق كان خارجاً عن البحث، فقد كان يتنافى مع تقاليد الأسرة، وكان عازماً على إرغام مارغريت على البقاء في رباط الزوجية.» وسكت برهة، ثم تابع: «وقد اكتشف أنها كانت حاملاً. وقرر هنري أن الطفل طفله.»
 جمدت نظراتها سائلة: «أكان ذلك... ممكناً؟»
 هز كتفيه قائلاً: «كان ما يزال مصرأً على استعمال حقوقه الزوجية.»

سالت: «وكيف امكنتها تحمل ذلك؟»

أجاب: «لم يكن لها خيار في هذا الأمر. وفي كل مرة كان هنري يعود فيها إلى منزله، كان يظهر التدم البالغ، عازماً على وضع علاقتها على أساس جديد فعال. وهذا جعلها تشعر أن من واجبها البقاء معه... واعادة المحاولة. ولم يستطع جدي أن يقنعها بتغيير رأيها. وكان على استعداد للمغامرة بكل شيء وتحمل آية فضيحة في سبيل ان يأخذها إليه. ولكن اهتمامها الأول كان بالطفل القادم.»

قالت ميغ: «ذلك لأن هنري ربما كان على حق، وهذا ما كانت تخشاه. وماذا حدث في النهاية؟» وبللت شفتيها بلسانها وهي تتتابع: «ولكن، ظهر انه لم يكن هناك طفل.» قال: «كلا، ليس هذا، وإنما، لسخرية الأقدار، حدث لها حادث. لقد تزحلقت على السلالم، ذات يوم، وكانت وحدها في المنزل، لقد كاد هذا الحادث أن يكلفها حياتها كما كلف الجنين حياته.» وسكت لحظة، ثم عاد يتتابع: «ولم يغفر

هنري لها ذلك قط، طبعاً، وكانت نهاية ذلك الزواج. وهكذا، ضحت بنفسها ويسعادتها عبثاً.»

سأله: «وماذا جرى لجدى؟»

أجاب: «لقد كان قد اقسم انه، إذا هو رحل، فلن يعود أبداً، وكان صادقاً في قسمه، مع أنه لم يلم مارغريت لاختيارها ذاك..»

وسكت لحظة، ثم استطرد: «وهكذا ذهب إلى باريس أولاً، ثم إلى الخارج لإدارة أملاك في جزر المارتينيك ألت اليه من ناحية أمه في الأسرة. وعندما كان في اجازة، قابل جدتي، ومن ثم وضع أساساً لحياة جديدة لنفسه.»

سأله: «وهل كانوا سعيدين؟»

أجاب: «كانا قانعين تماماً. وربما هذا الأساس لحياة زوجية تدوم طول الحياة، هو أكثر أماناً من غيره..»

شعرت ميغ بقصبة في حلقها وهي تفكير، ربما... وبدالها وكان هذا هو الاختيار الثاني لها بعد الحب... وبقيت هذه الفكرة تتملكها بصمت، إلى أن وصلاً إلى هاوت ارينيا. علمت أن جيروم سيجعل مكتبه المؤقت، في غرفة المكتبة.

نظرت حولها. وفجأة، بدا لها أن الجدران المغطاة بالكتب تظهر عداء نحوها، وكأنها تكاد تطبق عليها لكي تأخذها سجينه. ونظرت بتقزز إلى الآلة الكاتبة الكهربائية المصقوله التي احضرها من السيارة ووضعها وسط طاولة فسيحة.

خطر لها أن هذه هي آلة التعذيب في سجنها هذا.

قالت له: «انني لم استعمل مطلقاً هذا النوع من الآلات

الكاتبة من قبل.» وكانت الآلة الكاتبة التي كانت تستعملها للراسلات، في المكتبة العامة حيث كانت تعمل، مختلفة تماماً عن هذه. فقد كانت من النوع الذي يحمل باليد. ولكن، كان في امكانها، على الأقل التعامل معها.

قال وهو ينفض يديه، بعد أن أوصل الآلة بالطاقة الكهربائية: «ليس ثمة مشكلة، فأساس المواصفات واحد.» ثم فتح محفظته يخرج منها ملفاً كان فيه صفحات سجلت عليها ملاحظات بخط يده الحاد الواضح. كانت رزمة تحوي مئات من الصفحات كما لاحظت ميغ وقد سادها الاكتئاب. نظر في ساعته قائلاً: «سأعود بعد ساعة لأرى كيف يسير العمل معك.»

وفكرت ميغ وهي تراهم يغلق الباب خلفه، أن هذا أفضل من أن يقف مشرقاً عليها يراقبها وهي تتحسس طريقها مرتبكة وقد غمرتها التهامة. وتذكرت إحدى قصص الأطفال عن فتاة صغيرة سجنت في برج، حيث أمرت بأن تغزل القش محيلة أيام إلى خيوط ذهبية.

وحدثت نفسها بأنها تعرف الآن ماذا كان عليه شعور تلك الفتاة الصغيرة، في ذلك الحين. وتناولت الورق والكريتون، ولكن لم يكن ثمة معجزة تنقذها، كما أنقذت تلك الفتاة... لقد أدركت ذلك حالما عاد جيروم، كانت مازالت محاطة بالقش، دون اثر للخيوط الذهبية.

كانت تصرف بأسنانها وهي تحاول السيطرة على مفاتيح الآلة الكاتبة التي كانت تقفز في كل الاتجاهات، وهي معها تلاحقها، وذلك لأخف لمسة منها، لها.

كانت مجموعة الصفحات التي انهتها، صغيرة بشكل

محزن عندما سمعت الباب خلفها، يفتح وتطاھرت هي في التركيز على العمل الذي بين يديها. ولم يكن بينهما أي احتكاك ولكنها شعرت بحرارة جسمه تلفحها وبأنفاسه تحرك شعرها.

ازدردت ريقها وهي تشعر بجفاف في حلقها، ثم جازفت برفع ناظريها إليه، لترى حاجبيه يرتفعان وهو يقول بصوت جامد: «هل هذا كل ما أنجزته؟» منحته ابتسامة أكثر تالقاً من المعتاد وهي تجيب: «أخشى أن يكون الأمر كذلك. لقد سبق وأخبرتك بأنني غير معتادة على هذا النوع من الآلات الكاتبة.»

قال بصوت ذي معنى: «ولا أي نوع آخر، كما يبدو.» قالت: «كما انتي لم أجد ممحة ولا أي سائل للتصحيح.» أجاب: «لأن هذا ليس ضرورياً عند الطبع على هذا النوع من الآلات الكاتبة. لأن فيها زرأً تضغطين عليه هكذا، فيصحح الكلمة بنفسه.» وضغطه أمامها يريها كيف. قالت ميغ بصوت أجوف: «فهمت..»

قال: «آمل ذلك.» وسكت ليقرأ في احدى الصفحات، ليقول بعد ذلك عابساً: «يبدو أنه من السهل إرضاء مخدومك.»

غضت على شفتها قائلة: «انه لا يشكوا. كما انتي سبق وحذرتك من أنني لست طابعة جيدة..»

قال بابتسامة متهكمة: «من الواضح ان مواهبك الأخرى تفوق مهاراتك العملية.» ووضع الورقة التي كان يعاينها، من يده، وهو ينظر في عينيهما قائلاً: «يوماماً، يا عزيزتي، يجب أن تخبريني بما تقومين به من عمل مقابل استحقاقك لراتبك.»

١٢٧

أغنية الفجر

سأّلته: «ماذا تقصد بكلامك هذا بالضبط؟»
هز كتفيه قائلاً: «إنني لا أريد أن تتّالم السيدة من أي شيء قد يبدو لها في ما بعد...»

قالت: «أرى أنها... تعني لك شيئاً كثيراً، ليس كذلك؟»
أجاب: «نعم، ولكن ليس هذا بسبب الماضي فقط. فأنا على استعداد للقيام بأي شيء لكي أجنبها التّعاسة من أي نوع كانت.» وسكت برهة، ثم قال: «إذن، فكوني على حذر، يا مارغريت.»

هُزِّت رأسها قائلة: «إنني لا أريد أن أسبّب لها أي أذى.» وأطلقت ضحكة صغيرة مقتضبة وهي تتّابع: «من الغريب أنه يبدو أنني... إنني أنا أيضاً يهمني أمرها.» وفكّرت، وهي تتجاوزه خارجة من الغرفة، بأنّها، تحسد العمّة هذه، تحسدّها من كل قلبها... ذلك إنها، على الأقل، عندما أحبت، قد بادلها حبّيها الحب.

وأمضت بقية الوقت، إلى أن حان وقت العشاء، تقرأ مراسلات العمّة لها، وكتابة مسودات الأجوبة، لتنكتب بعد ذلك، الأجوبة كاملة جاهزة لامضاء السيدة دي بريسو. وشعرت بشيء من الغرابة وهي ترى نفسها في خضم الشؤون الخاصة للسيدة، بهذه الشكل.

ولكن السيدة المسنة طمأنّتها إلى أن كل هذا كان من الأعمال العاديّة التي على مراقبتها الغائبة السيدة الجو ان تقوم بها.

ولكن ميغ شعرت، وهي تبدل ملابسها لتناول العشاء بتعاسة بالغة من جراء الشعور بالذنب. ذلك أن ابنة شقيقتها الحقيقة هي من لها الحق في أن تتدخل بشؤونها

قالت بخشونة: «أظن أن هذا ليس من شأنك.»

قال بعنف مفاجئ في صوته: «ما الذي تقوّمين به، يا مارغريت، إذ تضيّعين حياتك بهذه الطريقة؟ إنني لا أفهمك. إنني أقسم بأنك أهل لأشياء كثيرة..»

دفعت ميغ كرسيها إلى الخلف، مما جعلها تشعر بقربه منها، وهي تقف على قدميها. وقالت: «إنني آسفة إذ لم أعش تبعاً لتوقعاتك.»

قال جيروم برقة وهو يمد يده يزدّيغ بها خصلات شعرها عن جبينها المندى: «آه، ولكن هذه هي بداية فقط.» وابتسم لها متابعاً: «ربما غالباً يكون عملك أفضل.» وبدا أن الكلمات تتلّكا في الجو بينهما، غامضة، واعدة، مقدمة كل الاحتمالات، تماماً كما كان يقصد بقوله ذاك.

شعرت بقلبه يستند خفقاته لشدة الاشارة وداخلها نوع من الرجاء الأحمق... لتدرك ببساطة، أنها إنما بذلك، تغذّي نفسها بالأمال الحمقاء.

وتروجعت إلى الخلف وقد رأت نفسها على حافة الهاوية، ثم قالت بهدوء: «أرجو المغفرة، فإن العمّة قد تكون بحاجة إلى...»

قال بجهاء: «إنك، على الأقل، تلبي احتياجاتها بما يفي بالغرض.»

قالت وهي ترفع رأسها: «إن هذا هو الغرض من وجودي هنا.»

قال وهو ينظر إليها بعينين بدت فيهما لمعة خاطفة: «أحقاً؟ أرجو ذلك، يا مارغريت. صدقيني إنني أرجو ذلك حقاً.»

الخاصة. ولكنها هي مجرد فتاة غريبة، وهذا يجعل الفرق هائلاً.

ولكنها متأكدة الآن من أن أيها من توقعات مارغوت المتفائلة عن امكان وراثتها لها، ليس فيه مجال من الحقيقة، ذلك ان دخل السيدة لا يكاد يفي بإنفاقاتها، وأن الشيء الوحيد الذي له قيمة هو هذا القصر. أما من أين تأتى نفقات كل هذه الاصلاحات، فلا أحد يعلم. ذلك ان جيرور قد يخدمها محبة منه لها ومن دون مقابل، ولكن، ماذا عن النجار والكهربائي ومتعبه التمديدات الصحية، والبنائين؟ انهم يريدون نقوداً.

ولكنها ذكرت نفسها، وهي ترتدي ما اختارت من ملابس، بأن هذا ليس من شأنها ولا دخل لها فيه. وعندما يبتدئ العمل في القصر، هذا إذا ابتدأ، فإنها ستكون قد رحلت منذ مدة طويلة، وابتعدت كلية عن هذا المكان. واختارت ثيابها، للعشاء، بعناء، متعمدة عدم ارتداء ذلك الثوب العسلى بذكرياته المؤلمة، لتلبس تنورة سوداء بسيطة مع قميص حريري أبيض بياقة عالية وكمين طويلين.

كانت تتوقع أن تكون السيدة قد سبقتها إلى غرفة الجلوس. ولكن، عندما وجدت الغرفة خالية، رأت أن هذه فرصة مناسبة لتكلم زوجة أبيها في لندن هاتقيناً. ورفعت السماعة تدبر الرقم، وتتنفس الصعداء حين وجدت تجاوباً هذه المرة.

و جاءها صوت زوجة أبيها واضحًا، إنما يشوبه التذمر: «نعم، من المتكلّم؟ ماذا تريده؟»

أجابت ميغ وهي تنطق بالاسم مترددة: «هذه أنا... مارغوت.»

هفت المرأة بحدة: «مارغوت... أوه، تبا لك، لقد اوشكت حقاً على الجنون. أين أنت يا عزيزتي؟»

أجابت ميغ بحذر بالغ: «لماذا، في فرنسا طبعاً. أرادت السيدة دي برييسو مني أن أتصل بك لأطمئنك إلى وصولي بخير وأمان.»

قالت ايريس وقد بدا عليها الارتباك، للحظة: «السيدة دي... أتعنين أن هذه أنت يا ميغ؟ لماذا لم تقولي ذلك بدلاً من الادعاء بأنك مارغوت.»

أجابت ميغ: «لأن هذا صعب بالنسبة للظروف. ماذا حدث؟ هل هنا لك شيء؟»

أجابت: «اتسائلين؟ إنها تلك المرأة اللعينة زوجة ستيفن كيرتيس. لقد هجرته تاركة له الأولاد مثيرة أمامه كل أنواع الفضائح في الصحف. لقد تواجدت على كل أنواع الاتصالات الهاتفية من مختلف الصحف، وكلها تريد أن تتحدث إلى مارغوت. حتى إنني رفعت السماعة لكي أحظى ببعض الأمان. لقد نشرت صور، وتحدىت العنانيين عن ذلك الحب... صدقيني، إن الأمر كان كابوساً رهيباً. وكان على طفلتي المسكينة مارغوت أن تخنقني عن الأعين. أما ستيفن كيرتيس نفسه فيبدو أن القضية قد عصفت بعقله فقد توازن كلية». وضحكـت المرأة غاضبة وهي تتتابع: «أتصدقين انه جاءني بكل شجاعة إلى بيتي محضراً، إلى أولاده مصراً على ان تعتنـي بهم مارغوت إذ ليس لديه مكان آخر يضعـهم فيه؟ وأولـذلك الصحافيين

الفضوليين امضوا كل النهار يبحثون في ذلك. وقد قلت له ان مارغوت ليست هنا ولكن هذا لم يمنعه من أن يترکهم لدی قائلًا ان عليه ان يذهب للبحث عن زوجته». وعلا صوت ايريس ثائراً وهي تتابع: «اما الأولاد، فلم يكفووا عن الصراخ الى ان فقدت عقلي، عند ذلك خطرت المر比بة ترومان في بالي، فاتصلت بها قائلة ان ثمة حالة مستعجلة. فأقبلت بسرعة».

جلست ميغ على ذراع الاريكة وهي ترتجف، ثم سالتها: «تعنين ان الأولاد ما زالوا عندك؟»

أجابت: «كلا، كلا. لقد اخذتهم المربيبة الى الكوخ، ولكن عليه أن يتذرع امرهم بشكل آخر، إذ ليس المفترض بي أن... ان الأمر ليس كما لو كانت مارغوت هنا أو حتى انتي اعرف متى ستعود. خصوصاً بعد الأشياء الفظيعة التي قالتها زوجته كيرين عنها في الصحف مما يجعلها عرضة للذم والتشهير».

قالت ميغ: «أشك في ذلك».

أجابت: «هذا ما قاله لي المحامي عندما كلنته في ذلك». وتنهدت وهي تتابع: «لن يكون بأمكانني أبداً ان أرفع رأسي بين الناس بعد هذا، وأنا هنا وحيدة تماماً، وعلى أن أفك بكل ذلك. لقد كان من الأنانية أن تخافي مارغوت هكذا. خصوصاً وقد كان عليها ان تعرف ماذا كان سيحدث». وسكت لحظة، ثم تابعت: «عليك أن تعودي حالاً إلى البيت، يا ميغ. انتي بحاجة اليك. على الأقل لتردي على المخبرات الهاتفية وتقتفي الباب».

قالت ميغ: «انتي آسفة، لأن هذا مستحيل. فهم بحاجة إلى

هنا كذلك، حيث أقيمت، فهذه المشكلات التي عندك لم يكن لي فيها يد، ولا أريد ان اتورط فيها».

شهقت ايريس قائلة: «كيف يمكنك ان تكوني بهذا القلب القاسي؟ ان اعصامي بحالة فظيعة. انتي اريدك ان تعودي في هذه اللحظة. أليس في قلبك رحمة؟»

وفكرت ميغ وهي تضع السماعة من يدها، أن في قلبها رحمة حقاً، ولكن لأجل كيرين زوجة ستيفن كيرتيس، ولو انه لا يبدو أنها بحاجة إلى ذلك، وارتسمت ابتسامة فakahية على شفتي ميغ وهي تفكر في ذلك. صحيح ان السيدة كيرتيس مجرحة من خيانة زوجها لها، دون شك ولكن هروبها ذاك وفضحها للأمر، استباقاً لما سيحدث، وترك مسؤولية الأولاد على عاتق زوجها وحببنته، كل هذا كان خطوة مدروسة أكثر منها انجرافاً عاطفياً.

لدت شفتيها وهي تفكر في اختفاء مارغوت ساعة ادلهمت الأمور مما يدل على شخصيتها الحقيقية، وكذلك فكرت في مرببتها الرقيقة الهدئة المتفهمة والتي تعاني الان، في هذه المحنـة، مما ليست هي مسؤولة عنه.

«مساء الخير».

التفت لترى جيرروم واقفاً في الباب المؤدي الى الشرفة وفي يده كأس عصير.

انتاب ميغ الذعر. إذن فقد كان جالساً في الشرفة طوال وقت المخابرة الهاتفية. ما الذي تراه سمع؟ وما الذي قالته هي مما قد يفضحها؟ وتصنعت ابتسامة وهي تقف قائلة: «لم أكن أعلم انك هنا».

أجاب باقتضاب وهو يدخل الغرفة وعلى فمه ابتسامة

ساخرة من لباسها المحتشم: «هذا واضح. كم تبدين متواضعة ومحتشمة. هل يمكنني تقديم كأس عصير لك؟» أومأت برأسها مجيبة: «نعم، شكراً.» ونظر إليها متحمساً وهو يقول: «أرجو أن لا تكوني قد سمعت أخباراً سيئة؟»

أجابت: «آه، بالعكس، فالأخبار حسنة جداً.» وبينما كان يملأ لها الكأس، أخذت تفكير في أن الأمور حسنة فعلاً، إذ ربما سيعود ستيفن كيرتيس إلى عقله، في النهاية، بالنسبة إلى زواجه، كما أن مارغوت ستتعلم درساً قاسياً هي بحاجة إليه تماماً، وستعود الحياة قريباً إلى طبيعتها. كما أنها كانت تشكي في أن إيريس قد تغفر لها عدم استجابتها لها. وهزت كتفيها، فقد حان الوقت، على كل حال لكي تنتقل من ذلك المنزل. ومن الآن فصاعداً، ستمضي كل دقيقة فراغ من وقتها في غرفة المكتبة تتمنى على تلك الآلة الكاتبة إلى أن تتمكن من هذه المهنة، ليكون في استطاعتها، عند عودتها إلى لندن، أن تقدم بطلب عمل مكتبي تعيش منه، إذ ليس أمامها سوى هذه الطريقة. ونظرت إلى جيروم الذي كان يتقدم منها وفي يده كأس العصير، وقد تجلّى في عينيها شوق دون أمل.

أشاحت بوجهها تحدق إلى خارج الشرفة، وقد انتابها الفزع من أن يقرأ في عينيها ما يدور في نفسها. وعندما اقترب منها، تناولت الكأس من يده وهي تتمتم شاكراً. بينما استند هو متراخيًا، إلى حافة النافذة. وتصرّج وجهها وهي ترى نظراته الفاحصة، وانفجر ضاحكاً وهو يقول: «مرة أخرى، هذا التصرّج غير المعقول في وجهك.»

ولم تستطع أن تفكر في جواب لهذا. واستمرت تنتظر أمامها بجمود. كانت تعلم أنه من القرب منها بحيث أنها لو استدارت ستلامس كتفها بكتفه.

قال يغيظها: «لم أكن أعلم أن نقوش السجادة جذابة إلى هذا الحد...»

قالت وهي تعض شفتها: «كنت أفكـر.»
قال: «لا أظنـها أفـكارـاً سـارةـ.»

وفكرت هي، بمرارة، في أنه يفهم عنها أشياء كثيرة. وهزت كتفها قائلة: «إن المكان هادئ جداً هنا، بينما أنا قد اعتدت على حياة المدينة حيث دوماً هنالك شيء جديد.»

قال متأملاً: «آه، نعم، علينا إذن أن نحضر لك بعض الأشياء المثيرة هنا.»

حاولت أن تتجاهل ما يتوارى وراء كلماته هذه من إغاظة ضاحكة، واحتست شيئاً من العصير وهي ترد بحدة: «ونـذـلـكـ، دونـشـكـ، بـطـبـعـ التـخـمـيـنـاتـ عنـ تـكـلـفـةـ بـنـاءـ سـقـفـ جـديـدـ.»

ضحك قائلًا: «حتى هذه الأشياء قد تكون ممتعة. وذلك حين تستعملين مخيلتك فتصوري الجمال الذي سيكون عليه المنزل عندما ينتهي اصلاحه.»

فقالت ببطء وهي تفكـرـ في الرسائلـ التي سـبقـ وكتـبتـها قبل فـترةـ: «آه، نـعـمـ، أـظـنـ ذـلـكـ.»

نظرـ إليهاـ متـسـائـلاـ بـقولـهـ: «هلـ هـنـالـكـ ماـ يـضاـيقـكـ؟ـ» أجابتـ: «ـكـلاـ،ـ ولـكـنـيـ لاـ أـسـتـطـعـ أـنـ فـهـمـ لـمـاـذاـ،ـ بـعـدـ هـذـاـ الزـمـنـ الطـوـيلـ،ـ يـصـرـفـ عـلـىـ تـصـلـيـعـ مـنـزـلـ كـبـيرـ مـثـلـ هـذـاـ،ـ

المبالغ الضخمة ولأي سبب؟ بينما من الواضح أن ليس ثمة ولد أو أي شخص آخر ليرثه. سألهما: «أتظنين أن على هذا القصر أن يترك لحاله إلى أن ينذر بسلام؟»

قالت متربدة: «كلا، حسناً، ربما... إذ من هو الذي يستطيع أن يتحمل مصروف منزل ضخم كهذا، بعد الآن؟ وإلى جانب ذلك، لا أظن أن العمة تملك تلك المبالغ من الأموال.»

قال بشيء من السخرية: «وهل هناك ما يمكنها عمله أفضل من هذا؟»

وقابلت نظراته بثبات قائلة: «نعم، ربما، فهذا المكان منعزل جداً، كما أنه يحتوي على كثير من الذكريات المحزنة يمكنها أن تبتعد... أن تسافر...»

قال: «وتتنسى؟»

فحركت يدها تظهر العجز وهي تجيب: «وليم لا؟»

قال: «لا أظن الأمر بهذه البساطة. فالحب لا يزول دوماً، أو يُنسى، بسهولة.»

قالت: «بعد كل تلك السنين؟»

فرد عليها بهدوء: «إذا كان الحب حقيقياً، فاللوقت لا يعود له حساب. وساعة واحدة أو الحياة كلها، تصبح شيئاً واحداً.»

اشتدت يدامع على كأسها وهي تقول متوترة: «ولكن إذا اتفض أن ذلك الحب هو لشخص غير مناسب، وفي وقت غير مناسب، وفي مكان غير مناسب؟»

قال بخشونة: «إنه يكون، عندئذ، مأساة. ولكنه لا يغير من

الأمر شيئاً، يا جميلتي، صدقيني. فالجرح العميق هو نفسه، وأثاره تبقى خالدة». وفكرا لحظة، ثم تابع: «كما أنه ليس في استطاعتك ان تبعدي السيدة مارغريت عن هذا المكان. فقد أمضت أكثر حياتها هنا. وفي الحقيقة، لقد أصبح هذا القصر يمثل حياتها، وحبها. والآن هي تريد أن تفرغ فيه كل عواطفها المحمومة التي تجمعت طوال تلك السنوات الفارغة. فهل تنكررين عليها هذا؟»

أجبت ميع و هي تتنهد: «كلا، كلا أبداً، ما دمت عرضت الأمور بهذا الشكل.»

قال: «أو ربما كنت تضعين في اعتبارك مصلحتك الخاصة؟» وخدعت، في البداية، بلهجهة المذهبة، ولكنها، ما ان استو عبت المعنى الذي تضمنته كلماته حتى استدارت إليه بحدة، قائلة: «ماذا تقصد؟»

قال وهو يهز كفيه: «إن السيدة وحيدة وضعيفة البنية. وسيلفي الجو مرافقتها المعتادة، هي امرأة طيبة، ولكنها تستحق شيئاً على موتها وعطفها، ثم أن السيدة مولعة بك.»

توقفت ملامح ميع وهي تقول: «لقد سبق وأخبرتك بأنني لا أريد شيئاً منها.»

قال بصوت عنيف ساخر: «إنني أعرف ماذا سبق وقلت. ولكن كل شخص بامكانه أن يغير رأيه. وفي مدى شهر يمكنك ان تتحققى الشيء الكثير. حتى انه يمكنك ان تقنعي السيدة بأن تحول إليك كل ما تملكه، إذ تجد أمامها القصر القديم المتهالك، أو المرأة الشابة الجميلة... ولا شك أن كفة الميزان تميل في مصلحتك، يا عزيزتي مارغوت.»

انتابتها ثورة عمياة، ورفعت يدها تهوي بها على وجهه، ولكن يد جيروم كانت أسرع بامساك معصمها بقبضة من حديد.

قال بلطف وببرود: «آه، كلا، إياك.»

وسرعان ما كان يأخذها بين ذراعيه يشنل بذلك، حركتها. كان غاضباً بشكل لم تره عليه من قبل. وهو يحتضنها بمشاعر محمومة لم تكن مشاعرها هي بأقل منها. وفجأة، وبنفس العنف الذي بدأ به احتضانه لها، تركها من بين ذراعيه رافعاً إياها عنه وكأنه يطرد其ا عنه طرداً. وهو يقول بصوت خشن متهدج: «آه، تبألك، يا مارغوت، ما الذي تفعلينه بي؟»

وسار نحو الباب، قاذفاً بقدمه كأس العصير الذي كان قد سقط على السجادة، ثم خرج غالقاً الباب خلفه بعنف. كانت هناك كأس مهشمة على السجادة وعليها ان ترفعها بسرعة. وركعت على السجادة بحذر، ورأسها يدور، تلتقط القطع الزجاجية بمنديلها. وأغلقت عندما جرحت أحدها، طرف أصبعها.

نظرت إلى خط الدم الأحمر السائل. كان الجرح عميقاً، والأثر سيبقى خالداً. وأحسست بطعم دموعها المالحة وهي تنحدر إلى شفتيها.

الفصل العاشر

أشارت الساعة التي بجانب سريرها إلى الثانية صباحاً، وحدقت فيها ميغ وهي تقول: «يا للتعasse». لقد مرّ عليها أسوأ مساء في حياتها. إذ ما كادت تنتهي من التقاط قطع الزجاج المتناثرة، حتى دخلت السيدة دي بريسو ترفل في الحرير المعطر، وهي تقول: «ها انك هنا، يا صغيره؟» دون ان تنتبه، لحسن الحظ، إلى عيني ميغ المتالقتين بشكل غير عادي، وآثار الدموع على خديها وجلست في كرسيها المعتاد وهي تحدّق حولها بنظرها الضعيف قائلة: «ألم يأتِ جيروم، بعد؟»

تمتّمت ميغ بشيء غير مفهوم. وقالت السيدة: «حسناً، هذا غير مهم. ابني مسرورة إذ ستحت لي الفرصة لأراك وحدك.» وفتحت درجاً في منضدة بجانبها وأخرجت علبة مخملية وهي تقول: «أحب أن أقدم إليك هذه.»

ترددت ميغ شاعرة بالضيق، وابتدأت بالقول: «لا حاجة بك إلى ذلك، في الحقيقة...»

قطعتها هذه بحزم: «بل ثمة حاجة. فلقد أهملتك مدة طويلة.» ووضعت العلبة في يد ميغ وهي تتبع قائلة: «ربما تكرّر هذه عن صمت كل تلك السنوات.»

قالت ميغ بذعر: «كلا، كلا. أعني... إنني لم آت إلى هنا لأجل هذا...»

قالت العمة برقة: «ليس بك حاجة إلى أن تخبريني بذلك.

ومع هذا فابني أريد منك ان تقبلني هذا التذكرة مني، يا عزيزتي. فلا تحرمي من هذا السرور.» ازدردت ميع ريقها وهي تفتح العلبة، لترى دبوساً رائعاً من الياقوت الأرجواني تحيط به اللآلئ. حدقت ميع فيه، وقد عصتها الكلمات. وأخيراً، قالت العمة: «أرجو أن يكون قد أعجبك؟ ربما لا يكون له قيمة مادية كبيرة، ولكنه كان يعني ذات يوم، الكثير بالنسبة لي، وهو الآن لك.»

فكرت ميع في ان ليس ثمة حاجة للسؤال عنم أعطاهما هذا الدبوس. وقالت بصوت مرتفع: «إنه أجمل شيء رأيته في حياتي. ولكن، لا يمكنني أخذه، يا عمتى... إنك... إنك لا تدركين...»

قالت العمة برقة: «ربما أنا أدرك. إنك تشعرين أن جيروم لن يقبل.»

أجابت: «إنني متأكدة من أنه لن يقبل، إنه... إنه لا يثق بي...»

قالت العمة وهي تربت على يدها: «لقد كان هذا قبل ان يقابلك، فلا تلوميه على هذا، يا طفلي. فهو يبالغ في حمايتي أحياناً. ولكن هذا ليس ذنباً، صدقيني، في الرجل بالنسبة إلى المرأة. وكان حكمه عليك، في البداية متسرعاً مبنياً على السمع. وأنا متأكدة من أنه أدرك ذلك الآن.» هزت ميع رأسها قائلة بهدوء: «على العكس، أظن هذه الهدية ستؤكّد أسوأ شبّهات جيروم.»

«وما هي شبّهاتي؟»

كان هذا صوت جيروم الذي كان واقفاً عند الباب يراقبهما.

قالت العمة: «لقد قدمت إلى عزيزتنا مارغوت هدية صغيرة. ولكنها متعددة بشأن قبولها.»

قال بيطر: «يا للأخلاق التي تدعوا إلى الاعجاب..»

قالت العمة بحزم: «عليك ان تخبرها، إذن، بأن ترددتها هذا سخيف.»

قال: « بكل سرور.» وتقدم من ميع ومه يده إليها لتعطيه العلبة، قائلاً: «أيمكنني أن أرى؟»

تاولته ميع الدبوس متمهلة، لكي يفحصه.

قال بعد برهة: «ولكنه رائع.» والتقت عيناه الساخرتان بعينيها، مما جعلها تتأكد من أنه عرف قيمة هذه الحلية. وتتابع: «وكذلك، هو يتلاءم مع ما ترددت عليه. اسمحي لي..» وأخرج الدبوس من علبتة، ووضعه في ياقه قميصها الأبيض.

وتراجع خطوة إلى الخلف وهو يقول بلهفة: «إن مكانه مناسب تماماً.»

وبدا ان العشاء لن ينتهي. وعندما كانوا يدخلون قاعة الطعام، استدعت فيليبين جيروم إلى الهاتف، ليعود إليهم عند تقديم الحساء، واختلست ميع نظرة من بين أهدابها الطويلة إليه، لترى العبوس يكسو ملامحه. كان من الواضح ان الخبر الذي تلقاه في هذه المخابرة الهاتفية، لم يكن ساراً. ربما قد اتصلت به تلك السيدة التي في منزله لتخبره بأنها قد سقطت من الانتظار.

حولت انتباها إلى العمة، وابتداّت تثرثر بوجه مشرق، عن كل ما رأته وفعلته في المدينة هذا الصباح. ومن وقت آخر، كانت تتنبه إلى نظرات جيروم تنصب عليها، متنقلة

بين شفتها وذلك الدبوس الذي كان يتالق على ياقه قميصها. ولكنه لم يحاول ان يتدخل في حديثها أو أن يحول الحديث إلى موضوع آخر. وعندما سكتت ميع، لتلقط أنفاسها، سالتها العمّة: «أردت ان أسألك إن كنت قد اتصلت بأمك؟» فأجابت: «نعم. لقد تحدثت معها قليلاً.»

قالت العمّة: «أرجو ان تكون بخير؟» كانت كلمات العمّة مؤدية أكثر منها دافئة، وهي تتتابع: «لا بد أنها تفتقرك؟» ابتسمت ميع بتحفظ وهي تجيب: «إنها مشغولة قليلاً عن هذه الأشياء، في الوقت الحاضر، كما أظن.» ورأت عيني جيروم تضيقان فجأة وهو يستند بظهره إلى الخلف ولكنه لم يعلق بشيء.

ولم يكن لدى ميع شهية للطعام، فأكلت قليلاً ثم دفعت بطعامها في أنحاء صحنها مما لم يعجب فيليبين عندما رفعت الأطباق.

وعندما انتقلوا جميعاً إلى غرفة الجلوس اقتربت العمّة أن يتسلى جيروم وميع بلعبة الطاولة، ولكن ميع اعتذرت بسرعة، بأنها تعاني من الصداع.

أخذ جيروم يد السيدة يقبلها وهو يقول: «وأنا أيضاً استاذن بالذهاب، فقد حدث فجأة في منزلي أشياء غير متوقعة ولا يمكن تجنبها.»

شعرت ميع بقلبه يكاد يكف عن الخفقان. إذن، فقد قرر أن يستجيب لذلك الاستدعاء له في الهاتف. حسناً، ما الذي كانت تتوقعه غير هذا؟ ولكن، مالها تشعر بأنها تكاد تموت في أعماقها؟

قالت له السيدة بحدة: «إنك ترهق نفسك في العمل. هل ستعود في ما بعد؟» قال بعد برهة: «لست متأكداً من ذلك. على كل حال، سأراك في الصباح. ليلة سعيدة..» وابتسم لميغ ببرود قائلًا: «أرجو ان ييارحك الصداع بسرعة.» ومن ثم ترك الغرفة.

اهتمت العمّة بتقديم ما يزيل صداعها، واضطررت ميع إلى أخذها منعاً للشك من ان يراود السيدة، مع انه لم يكن ليستطيع تخفيف الألم في قلبها. ولكنها رفضت الذهاب إلى الفراش، فقد كان الانفراد بنفسها والتفكير، هو آخر شيء تريده في العالم.

قالت العمّة وهي تسوي الوسائل خلف ظهرها: «من المؤسف ان يضطر جيروم إلى الخروج، وإلا لكان جعل خاتمة يومك مسلياً لو انه استطاع البقاء.»

كانت تتكلم بصدق، ولكن ميع لم تخدع بذلك، فقالت: «لقد جئت إلى هنا لاكون مرافقتك، يا عمتي، وليس مرافقته.» قالت العمّة: «ولكنك ابتدأت تعجبين به، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

كانت كلمة اعجب بهذه وصفاً فاتراً لتلك المشاعر الجارفة التي تكتسحها. وقالت باختصار: «إنني لم أفكر بذلك، في الحقيقة. هل أحضرت فيليبين الصحف؟»

قالت العمّة: «إنني لا أريد ان أسمع أية أخبار صحافية، هذه الليلة. إنها جميعاً تتحدث عن الحروب والموت والدمار... وكلها تسبب لي الاكتئاب. إنني أفضل ان أتحدث عن الأشياء التي تبعث السعادة.»

قالت ميع برقة: «سأتحدث في أي موضوع يعجبك ما عدا... ما عدا جيروم... إنني... إنني أعرف إلى أي حد نتما مولعان ببعضكم البعض، إلى أي حد تعتمدين عليه، ولكن ليس بامكانك ان تتوقعى مني المشاركة في علاقتكم.»

قالت العمة بقوه: «طبعاً لا، إذ ان هذه سخافة. ولكن، أيضاً لا يمكنك الادعاء بأنك غير منجذبة إليه، يا عزيزتي، وكذلك هو.» وضحكـت بهدوء وهي تستطرد: «عندما يخف نظر شخص ما، فإن بقية الحواس تقوى. وقد شعرت بذلك التيار من المشاعر يسري بينكم.»

قالت ميع: «إنه وسمـم جداً، ومن الطبيعي ان أنتبه إلى هذا...»

قاطعتها العمة قائلة: «كلا، كلا. إنني أتحدث عن شيء أكثر أهمية وعمقاً من مجرد الانتباـه هذا...»

قالت ميع باصرار: «أظنك مبالغـة، فأنا والسيد جيروم لم نقابل إلا منذ فترة قصيرة جداً.»

أفلـلت من العمة ضحـكة عمـيقـة مـرة أخـرى وهي تقول: «ويا له من لقاء. وكم تظنـين، أيـتها الطـفلـة الـحـمـقـاء، ستـأخذ مـعـرـفـةـ ذلكـ منـ الـوقـتـ؟ أحـيانـاً نـظـرـةـ... كـلـمـةـ... وـهـذـاـ يـكـفـيـ لـكـيـ يـصـبـحـ الرـجـلـ فـوقـ الـجـمـيعـ فـيـ نـظـرـكـ.»

حاـولـتـ مـيـعـ اـنـ تـبـتـسمـ وـهـيـ تـقـولـ: «إـنـ هـذـاـ كـلـامـ شـاعـريـ جـداـ، وـلـكـنـ الحـقـيقـةـ هيـ شـيـءـ آخـرـ.»

تسـأـلـتـ مـيـعـ فـيـ سـرـهاـ، عـماـ يـحـدـثـ فـيـ حـالـةـ مـنـحـاـ قـلـبـهاـ لـرـجـلـ لاـ يـبـادـلـهاـ عـواـطـفـهاـ، أـوـ مـاـ هـوـ أـسـوـأـ، إـذـ يـرـيدـهاـ لـمـجـرـدـ التـسـلـيـةـ...»

وعـادـتـ العـمـةـ تـقـولـ بـحـزمـ: «لـاـ يـجـبـ اـنـ تـأـخـذـ الشـكـوكـ فـيـ الحـبـ، يـاـ عـزـيزـتـيـ. بـلـ عـلـيـكـ اـنـ تـقـمـسـكـ بـهـ بـكـلـ فـرـحـ وـبـهـجـةـ حـالـمـاـ يـقـدـمـ إـلـيـكـ، وـإـلـاـ فـسـتـمـضـيـنـ حـيـاتـكـ فـارـغـةـ إـلـاـ مـنـ النـدـمـ.»

فـكـرـتـ مـيـعـ وـهـيـ تـعـضـ شـفـتهاـ، إـنـ هـذـاـ شـيـءـ هـيـ مـتـأـكـدةـ مـنـ الـوـصـولـ إـلـيـهـ. وـقـالـتـ بـصـوتـ عـالـ: «لـيـسـ ثـمـ فـائـدـةـ حـتـىـ مـنـ الـحـدـيـثـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ، إـذـ يـبـدـوـ أـنـكـ نـسـيـتـ أـنـنـيـ سـامـضـيـ هـنـاـ عـدـةـ أـسـابـيعـ فـقـطـ...»

فـرـبـتـ العـمـةـ عـلـىـ يـدـهاـ قـائـلـةـ: «بـهـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ، بـمـاـ أـنـنـيـ عـدـتـ فـوـرـجـدـتـكـ، يـاـ طـفـلـتـيـ فـيـانـتـيـ لـاـ أـرـيدـ اـنـ أـخـسـرـكـ. وـأـمـلـ أـنـ أـرـاكـ دـوـمـاـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ.»

وـصـدـمـتـ مـيـعـ مـيـعـ لـشـعـورـهـاـ بـالـذـنـبـ. وـحـدـثـتـ نـفـسـهـاـ بـأـنـهـ مـاـ كـانـ لـهـاـ أـنـ تـقـبـلـ تـمـثـيلـ هـذـاـ الدـورـ أـبـداـ، وـأـنـ الـحـيـاةـ كـلـهـاـ لـنـ تـكـفـيـ لـلـاـسـتـفـارـ عـنـ هـذـاـ الذـنـبـ.

وـرـفـعـتـ يـدـهاـ تـلـمـسـ الـدـبـوـسـ، لـتـشـعـرـ أـحـجارـهـ بـبـرـودـةـ تـحـتـ أـصـابـعـهـاـ. إـنـ مـنـ الـمـفـرـوضـ أـنـ هـذـاـ الدـبـوـسـ تـسـتـحـقـهـ مـارـغـوتـ، كـمـاـ قـصـدـتـ العـمـةـ، عـلـىـ كـلـ حـالـ، وـلـكـنـ إـذـ وـقـعـ بـيـنـ يـدـيـ تـلـكـ الـفـتـاةـ الـجـشـعـةـ، فـسيـكـونـ ذـلـكـ عـلـىـ جـثـثـهـاـ، كـمـاـ اـنـهـاـ لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـحـتـفـظـهـ هـيـ أـيـضاـ. إـنـهـاـ تـحـتـفـظـهـ أـثـنـاءـ وـجـودـهـاـ هـنـاـ فـقـطـ مـنـ بـابـ الـاسـتـعـارـةـ كـمـاـ هـوـ الشـأـنـ بـالـنـسـبـةـ لـكـلـ الـأـشـيـاءـ الـأـخـرىـ.

وـلـمـ يـعـدـ جـيـرـوـمـ. وـبـعـدـ السـاعـةـ الـعاـشـرـةـ أـبـدـتـ السـيـدةـ رـغـبـتهاـ فـيـ الـذـهـابـ إـلـىـ سـرـيرـهـاـ. وـقـدـ قـرـأـتـ لـهـاـ مـيـعـ قـبـلـ النـومـ، قـبـلـ اـنـ تـذـهـبـ هـيـ أـيـضاـ إـلـىـ غـرـفـتهاـ، حـيـثـ نـزـعـتـ الـدـبـوـسـ مـنـ يـاقـةـ قـمـيـصـهـاـ بـكـلـ عـنـيـةـ، ثـمـ وـضـعـتـهـ فـيـ عـلـبـتـهـ

لتدسه في آخر الدرج في منضدة الزينة. لا بد انه كلف العمة كثيراً من الألم حين تخلت عن هذا الشيء الذي يعني لها الكثير. شعرت مبغ بالحزن لأجلها، لم تكن تظن بأن هذه السيدة ستعلق بها بهذه السرعة. كما أنها لم تكن تت肯 بأنها كانت تنظر إلى هذه الزيارة كبداية لعلاقة طويلة كاملة مع ابنتها الروحية.

وانتهت بأن حدث نفسها بأن هذه ستكون مشكلة مارغوت وليس مشكلتها هي.

ولكن هذه المشكلة كانت واحدة من كثيرات، إذ ان ستيفين كيرتيس ابتدأ يحاول انقاذ زواجه بأي ثمن. وهذا يعني بالطبع ان مارغوت ستخرج من عملها ومن حياته أيضاً.

ولم تشعر مبغ يوماً بأي تعاطف مع مارغوت أثناء ملاحقة هذه الأخيرة لكيرتيس، ولكن خطر لها الآن، بعد هذا الإحساس الجديد الذي استيقظ فيها، بأن مارغوت لو كانت حقاً تحب ذلك الرجل فإن فقدانه سيحطمها وسيمزق نفسها. وفكرت في ان مارغوت ربما لم تكن تريد أن تحبه، ولكنها مثلاً هي، لم تستطع مغالبة عواطفها. وستتالم لهذا، مثلاً إلى آخر حياتها.

وتملكها الأرق وهي مستلقية على فراشها في الظلام تقلب مختلف الأمور، ولكن ذهنه المرهق لم يستطع ان يضع حلاً لأية مشكلة من تلك المشكلات التي تشغله وتسبب لها الحيرة والارتباك. وفي النهاية، دفعت عنها الأغطية بحزم. إنها الساعة الثانية صباحاً، وهي لن تبقى مستلقية هنا مستسلمة للأفكار المؤلمة، إنها ستستغل أرقةها هذا في ما يفيد.

وضعت عليها معطفها المنزلي، وأخرجت مصباحها اليدوي من حقيبتها، ثم فتحت باب غرفتها ليواجهها الصمت والظلم. وبحدور اتخذت طريقها على ضوء مصباحها إلى غرفة المكتبة. إنها ستواجه الصعوبات وستتغلب عليها. ربما سيأخذ منها اقناع جيروم بأنها غير جديرة ببعض الوقت، ولكن بامكانها على الأقل، ان تثبت له بأنها ذات كفاءة في العمل. وذلك بالتدريب على تلك الآلة الكاتبة اللعينة.

دفعت بباب المكتبة، ولكن لتفف مصعوقة. كان مصباح المكتب مضاءً وكان هو جالساً إلى المكتب مشغولاً بالكتابة. وحدق فيها وكأنه يرى شبحاً، ثم جمع الأوراق التي أمامه ووضعها في ملف.

وسألها: «ما الذي جئت تفعلينه هنا؟» ولم تشا أن تخبره أنها كانت قادمة للتمرن على الطباعة سراً، وإلا لظنها مجنونة.

قالت تجبيه: «ظننت أنتي سمعت ضجة..» قال بابتسمة جافة: «أرجو أن يكون ألم رأسك قد خف الآن.»

قالت: «نعم.» وسكتت لحظة، ثم عادت تقول: «ظننتك لن تعود هذه الليلة.» قالت ذلك وهي تفكر ببرود، في ان تلك الفتاة المجهولة في منزله لا بد أن تهتم به أكثر مما تفعل الآن، لكي لا يتركها في مثل هذا الوقت.

هزكتفيفه قائلاً: «شدة بعض تخمينات التكلفة بالنسبة للبناء كانت في انتظاري في مسكنى، رأيت ان أنهيتها، ذلك ان السيدة مارغريت ت يريد ان يبدأ العمل في أقرب وقت.»

قالت ميغ وهي تشد حزام معطفها بعصبية: «نعم، بالطبع». لاحظ حركتها هذه لا وياً شفتيه ثم التقط قلمه وهو يقول: «إنني لن أعيقك عن العودة، أم لعل هناك شيئاً آخر؟» قالت: «كلا... على الأقل...» وترددت. قال: «حسناً، تابعي كلامك..»

قالت بشيء من السرعة: «إنه عن ذلك الدبوس. إنني أريد... أريد أن أوضح لك الأمر بشانه..»

رفع حاجبيه قائلاً: «وهل ثمة إيضاح ضروري؟ لقد أرادت السيدة ان تقدم لك هدية، وهذا شأنها هي فقط.»

قالت وهو ترطب شفتيها الجافتين بلسانها: «لا أظن هذا صحيحاً. إنه حلية قديمة وجميلة، وليس عليه شوكولاتة، لقد حاولت ان أخبرها أنه لا يمكنني قبول مثل هذا الشيء، ولكنها لم تستمع إلي..»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول: «لقد اعتادت التصرف بطريقتها الخاصة في أشياء كثيرة. وليس بامكانك تغييرها في هذه الفترة القصيرة.»

قالت: «هذا بالضبط ما أريد أن أقول. إنني ساتقلد الدبوس أثناء وجودي هنا، وعندما أرحل سأعيده إليك.» وقطب حاجبيه قائلاً: «أتعيدين هديتها؟ لا يمكنك ان توجهني إلى السيدة مثل هذه الإهانة.»

قالت بثبات: «ذلك هو السبب في أنني أردت أن أعيد الدبوس الثمين إليك أنت.» وسكتت لحظة، ثم عادت تقول: «وعلى كل حال، فقد جاء أصلاً من أسرتك. أليس كذلك؟» هز كتفيه قائلاً: «دون شك. إذ لو كان تابعاً لأسرة دي بريسو لباعه هنري وقامر بثمنه.»

أومأت برأسها قائلة: «ولهذا، أنا سأعيده، فقط إلى أصحابه.»

فازداد تقطيب جبينه وهو يقول: «هذا ليس ضرورياً أبداً. إن الدبوس ملك الآن، فاحتفظي به..» هزت رأسها قائلة: «لا يمكنني ذلك.»

قال وقد أظلم وجهه: «هل هذا بسبب ما قلته لك قبل العشاء؟ لم يكن من حقي أن...»

فرفعت يدها تمنعه عن متابعة الحديث، قائلة: «ثمة أسباب أخرى كذلك. وأرجوك ألا تسألني الإيضاح..» قال: «حسن جداً.» وسكت لحظة ثم عاد يقول: «هل هذا هو السبب في حضورك إلى هنا؟ فقط لتخبريني عن الدبوس؟» وكان في صوته نبرة غريبة.

قالت: «لقد سبق وأخبرتك بأنني سمعت ضجة.» سألهما متهكمًا: «سمعت ضجة هنا من غرفتك في الطابق الأعلى؟ يا للسخافة.»

وفكرت هي في ان هذا العذر ليس في الواقع، بسخافه نصف الحقيقة. وقالت تجبيه: «حسناً، ثمة شيء أيقظني لا أدرى ما هو بالضبط.»

قال وقد بدلت المراراة في صوته، والتفكير في عينيه: «قد يكون نفس السبب الذي جعلني لا أنام الليل منذ بداية تعارفنا، يا جميلتي.» وترك القلم من يده ثم وقف ودار حول المنضدة قادماً نحوها.

تراجعت ميغ نحو الباب وهي تقول بسرعة: «إنني آسفة لإزعاجي لك... يمكنك ان تعود إلى عملك الآن..»

قال: «إزعاجك لي؟» وأطلق ضحكة خشنة قصيرة وهو

يتابع: «تبأ لك... أأز عجتني فقط؟ ألا تعرفين ما الذي فعلته بي؟ يا جميلتي المخادعة المنحلة الساقطة؟» اهتزت قائلة: «كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الكلمات؟»

قال ساخراً: «آه، انتي أجرؤ على ذلك لأنني أعيش الآن في جحيم، يا عزيزتي مارغوت. لقد أحلت حياتي وخططي كلها إلى فوضى ومع انتي أعرف حقيقتك، فإن هذا لا يغير من الأمر شيئاً. انتي أحاول أن أحتررك، ولكننيأشعر، في النهاية ان رغبتي بك تزداد.»

اقترب منها خطوة وهو يتابع: «وإذا كان الأمر هو نفسه، بالنسبة إليك، يا حبي، فلا تدع العكس. فأنت هنا هذه الليلة، لهذا الشيء. لأنك لا تستطعين البقاء بعيدة عنّي. ولقد سبق وقلت انتي سأجعلك تأتين إلى، وها أنت ذي هنا». شهقت قائلة: «كلا، هذا غير صحيح، إنك مجنون.»

قال ساهماً: «نعم، أظلكني مجنوناً قليلاً. فقد ابتدأت معركتي بمقاومتك، ولكنها انتهت بمقاومة نفسي، وليساعدني الحظ في ذلك.»

قالت بصوت مبحوح: «إنتي سأرحل. سأخبر السيدة ان علىي أن أعود إلى انكلترا معذرة بأزمة عائلية، أو أي شيء آخر...»

قال بابتسامة ملتوية: «ربما تريدين العودة إلى حبيبك، لكي تنقذني ما يمكنك انقاذه، إن كان هذا بامكانك؟» هزت رأسها بوحشية وهي تقول: «ليس عندي حبيب.»

قال: «كلا، ربما ستكون هذه هي الحقيقة في النهاية. مسكينة مارغوت.»

قالت: «لا تناديوني بهذا الاسم، يا جيروم.» وازدردت ريقها وهي تقول: «شلة أشياء عنّي أريد منك ان تعرفها.»

قال: «لقد سبق وعرفتها حتى قبل ان تضعي قدمك في فرنسا، لقد ثوّيت أن أقضى بعض الوقت معك لكي أبرهن على انك فتاة رخيصة تذهب مع أي كان.» حملقت فيه غير مصدقة وهي تقول غاضبة: «ما زلت تقصد ما هذا الذي تقوله؟»

أجاب: «لقد مضى زمن الإدعاء، يا جميلتي، ولكن الآن صادقين مع بعضنا البعض». وخشن صوته وهو يتابع: «لقد وقعت في الفخ الذي نصيّته لك، يا مارغريت. لقد سحرتني أنا أيضاً، لقد تسللت إلى أعماقي، واستوليت على روحي.» ونظر إليها بعينين نهمتين وهو يتابع قائلاً: «ولكن، ربما إذا استوليت عليك بطريقتي، يبطل هذا الافتتان، واسترد حريتي، وعقلي.»

قالت بصوت مختنق: «كلا.» واستدارت تبغي الهرب، ولكن قدمها اشتبت بطرف معطفها فتعثرت، وفي تلك اللحظة أمسك بها جيروم ليجذبها إليه بيدين قاسيتين. قاومته هي بضراوة، وهي تضربه بقبضتيها على صدره. ولكنها، وهو يشد عليها ذراعيه ابتدأت تشعر بخفقان قلبها يتتصاعد، متبايناً مع خفقان قلبه.

وهمس من أعماقه، وقد استحال العبوس والقصوة في وجهه، إلى رقة بالغة، وكان همسه حافلاً بالمشاعر: «مارغريت.» واستدار وجهها إليه كالزهرة التي تتفتح أمام الشمس.

وَعِنْدَمَا شَدَّهَا إِلَى صُدْرِهِ، ثُمَّ حَمَلَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ، لَمْ
تَمَانَعْ وَلَمْ تَبْدِ أُلْيَةً مُقاوْمَةً وَهُوَ يَسِيرُ بِهَا صَاعِدًا إِلَى
غَرْفَتِهِ لِيَضْعُفَهَا فِي سَرِيرِهِ، ثُمَّ يَسْتَقِي بِجَوَارِهِ.
اسْتَلَقَتْ مِيعَ فِي السَّرِيرِ، وَهِيَ تَضْغَطُ بِقَبْضَتِهِ عَلَى فَمِهَا
الْمَرْتَجَفِ، شَاعِرَةً رَغْمَ إِغْمَاضِهِا عَيْنِيهَا، بَأْنَهُ لَمْ يَعُدْ
بِجَانِبِهِ.

وَأَخِيرًا، تَجَرَّأَتْ فَفَتَحَتْ عَيْنِيهَا تَبْحَثُ عَنْهُ، لَتَرَاهُ وَاقِفًا
قَبْلَةَ النَّافِذَةِ، مُولِيًّا إِبَاهَا ظَهَرَهُ، وَقَدْ أَزَّاهُ الستَّائِرَ وَفَتَحَ
الْمَصْرَاعَيْنِ، وَمَضَى يَحْدَقُ فِي أَوَّلِ خَيُوطِ الْفَجْرِ وَهِيَ تَبَدُّو
مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْقِ.

عَادَ بِهَا الزَّمْنُ دَقَائِقَ إِلَى الْوَرَاءِ... لَتَرَى نَفْسَهَا
تَصْرَخُ مُتَوَرَّةً، لَتَسْكُتْ لَاهِثَةً وَقَدْ تَدْحَرَجَتِ الدَّمْوَعُ عَلَى
خَدِيهَا.

وَهَتَّفَ بِهَا بِسُرْعَةٍ وَهُوَ يَقُولُ مُذْهَوِلًا: «مَاذَا جَرَى؟ مَاذَا
حَدَثَ لَكَ يَا عَزِيزَتِي؟» وَعَضَتْ شَفَتِيَّهَا بِقُوَّةٍ وَهِيَ تَقُولُ
بِصَوْتِ مُرْتَجَفٍ: «لَا أَعْرِفُ... لَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ...»

وَجَمِدَ فِي مَكَانِهِ فَجَأَةً وَهُوَ يَحْمَلُقُ فِيهَا غَيْرَ مُصْدِقٍ
وَيَقُولُ: «مَاذَا تَقُولِينَ؟ هَلْ مَا زَلْتَ...؟ أَمْمَكْنُ هَذَا؟ تَبَأْلِي...»
وَازْدَادَ انْهَمَارَ دَمَوْعَهَا تَحْرِقُ خَدِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: «أَنْتِي
آسْفَةُ. لَا تَغْضِبْ مِنِّي، أَرْجُوكُ.»

وَبَقَى صَامِتًا بِرَهْةٍ، ثُمَّ قَالَ بِهَدْوَهِ: «أَنْتِي لَسْتَ غَاضِبًا.»
ثُمَّ رَفَعَهَا بَيْنَ يَدِيهِ بِرْفَقٍ، وَأَرْقَدَهَا عَلَى الْوَسَادَةِ وَهُوَ يَزِيَّحُ
خَصْلَاتِ شَعْرِهَا، الْمُبْلَلَةِ بِدَمَوْعَهَا، عَنْ وَجْهِهَا ثُمَّ يَمْسِحُ تِلْكَ
الْدَّمْوَعَ بِطَرْفِ مَلَأَةِ السَّرِيرِ.

لَمْ يَكُنْ يَفْصِلْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، حِيثُ كَانْ يَقْفَ الْآنَ، سَوْى

مُتَرِّينَ أَوْ حَوَالِيَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهَا شَعْرَتْ وَكَانَهَا تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ عَبْرَ
امْتَدَادِ الْكُونِ بِأَجْمَعِهِ.
وَأَخِيرًا، تَنَهَّدَ وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا قَائِلًا: «وَالآنَ، أَخْبِرْنِي
عَنْ حَقِيقَتِكِ، وَمَنْ أَنْتَ بِالْفَضْبِطِ.»

الفصل الحادي عشر

كان الصمت في الحجرة، لا نهاية لعمقه.

وأخيراً، قال بصوت هادئ، وكأنه رجل غريب: «إنني بالانتظار من الواضح أنك لست مارغوت ترانط، ولكن من أنت؟» أجبت وقد جف فمها: «أختها غير الشقيقة. إنني... إنني مارغريت أيضاً... مارغريت لانغاري. لقد حاولت أن أخبرك بذلك في غرفة المكتبة منذ فترة. ولكنك قلت... لقد جعلتني أظن بأنك تعلم.»

قال: «آه، هذا صحيح، ولكن هدفيانا كانا متعاكسين، ولكن ما هو سبب هذا التذكر؟»

أجبت: «لم تتمكن مارغوت... من الحضور، فطلبت مني أن أحضر بدلاً منها.»

قال ساخراً ببرود: «إنك تتكلمين وكان الأمر غاية في البساطة. لماذا إذن أخفيت شخصيتك الحقيقية مدعية بأنك فتاة أخرى؟»

أجبت: «لا يمكنني إيضاح الأمر...»

قال برفق: «حاولي...»

أجبت: «لم تكن مارغوت راغبة في أن تظن خالتها بأنها لا تهتم بها.»

قال: «مع أن هذا كان هو السبب الحقيقي.»

قالت: «ليس تماماً. لقد كان عندها أسباب قوية تمنعها من مغادرة إنكلترا.»

قال: «بالطبع. من الواضح أن السبب هو ذلك الحبيب الذي لم تعرفي كيف تصنفيه عندما تحدثت عنه». وسكت لحظة، ثم عاد يقول: «لقد كانت القضية وصلت إلى الذروة فلم تجرؤ هي على الرحيل لكي لا يغير رأيه في غيابها، كانت بحاجة إلى البقاء للتشبث به... لكي تستمر في الضغط عليه.»

وفكرت بتعاسة أن هذه هي الحقيقة فعلاً. ولكنها قالت: «أظن، هذا هو السبب.»

قال: «وكنت أنت سعيدة في مساعدتها في هذا الأمر.» وأشارت سخرية أعصابها بينما تابع: «لقد كنت غاية في البلاغة وأنت تتقديرين جدي، بينما لم يزعجك أن تتعاوني معها في تحطيم حياة زوجية.»

حملقت مينغ فيه وراحت تسأله بلهجة هي مزيج من الارتباك والتعاسة: «هل تعرف شيئاً عن هذه القضية؟»

قال: «نعم أعرف، فإن كيرين كيرتيس الزوجة هي إينة عمى. وقد نشأنا معاً كأخ وأخت. وعندما رأيتها آخر مرة كان واضحأ أنها كانت متذكرة جداً من شيء ما. وفي النهاية، جعلتها تفضي إلى بالأمر.» وكسا ملامحه العبوس وهو يتتابع: «وعند ذلك سمعت للمرة الثانية، باسم مارغوت ترانط.»

قالت مينغ وهي ترتجف: «للمرة الثانية؟ آه، أظن أن السيدة قد تحدثت إليك عنها.»

قال ساخراً بصوت أقرب إلى الوحشية: «نعم، إينتها الروحية وقريبتها الوحيدة... والتي لم ترها منذ سنوات كثيرة... لأنها لم تشعر نحوها بالمودة منذ كانت طفلة...»

لأنها رأت فيها صورة أمها التي كانت لا تحبها. فهي كانت تشعر بأنها لم تكن عادلة معها فارادت أن تصلح من خطأها ذاك. وعندما أخبرتني كيرين عن قضية زوجها، تمنيت أن لا تكون هي نفس الفتاة. وكانت ابنة عمي مقتنة بأنها لا تكن له حباً حقيقياً، بل تريده لتحقيق طموحها فقط. وقد حقق مخاوفها ما قمت به من استعلام عن تلك الفتاة إذ لم أجد من يذكر الأنفة ترانت بكلمة حسنة. فقد كانت قاسية أنانية تبحث عن المال ولا يهمها سوى مصلحتها. وقد كنت أتألم لحالة السيدة مارغريت بقدر ما كنت أتألم لحالة ابنة عمي. فقد كنت أحس بمدى شعورها بالوحدة وال حاجتها إلى إعادة الصلة بتلك الفتاة. ولكنني كنت أعرف أن (صغيرتها) مارغوت غير أهل لكل ذلك.

قالت ميع: «ولتكنك لم تقل شيئاً. ألم تخبرها؟» أجاب: «لم يكن بإمكانني ذلك، فقد توسلت إلى كيرين بأن لا أذكر شيئاً عن متاعبها هذه، فقد كانت مستميتة في سبيل إنقاذ زواجها، ومقتنعة بأن ستيفن لا بد سيعود إليها، وعندما قررت السيدة دعوة مارغوت إلى هنا، بدا لي أننا سننصيب عصفورين بحجر واحد. إذ أنها، السيدة، سرعان ما ستكتشف شخصية الفتاة فتراها على حقيقتها». ولانت ملامح وجهه وهو يعلق على قوله ذاك، قائلاً: «إن فقدها ليصرها قد قوى من حواسها الأخرى من نواحٍ متعددة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن حضورها إلى هنا يفصلها عن ستيفن كيرتيس. وكانت كيرين متأكدة من أن الفتاة ليست مخلصة في حبها ستيفن، ولكنها كانت بحاجة إلى إثبات ذلك.» ولوى فمه ساخراً وهو يتبع: «وهكذا

صممت على أن أحقر لها ذلك، وأن أبرهن على أنها فتاة مخادعة تذهب مع أي كان، وهذا بإغوائهما بنفسي». واستطرد بصوت عنيف: «إنما مالم أضعه في حسابي هو أنت.»

واخترفت كلماته قلبها كطعنة سكين. إذا كانت هي قد قامت بتمثيل دور زائف، فقد فعل هو أيضاً نفس الشيء. هل كانت كل نظرة منه، كل همسة، كل لمسة... هل كان كل هذا ادعاءً وكذباً. وذلك للإيقاع بها؟ إنه يقول كل هذا بنفسه. إن ذلك الحبيب الذي أخذها بين ذراعيه لم يكن له وجود مطلقاً. وإذا كان له وجود فهو حبيب تلك الفتاة الموجودة في مسكنه.

وتمنت الموت وهي تفكّر في أنه لم ير غبّ قط فيها. وسمعته يقول: «لماذا فعلت ذلك؟» ولململت بقایا كبرياتها... واحترامها لنفسها لتقرر، وقد برح بها العذاب. إنها يجب أن لا تدع جيروم يعلم أبداً مقدار تجاجه في خداعها بادعاء الحب لها. يجب ألا يدرك، مهما كان الأمر، أنها واقعة بغرامة.

أجبته قائلة: «لم يكن لدى خيار. فقد كانت هناك ضغوط متعددة على لم تترك لي مجالاً للرفض.»

قال ببرود: «إنك، دون شك، عاطلة عن العمل، طبعاً. وهذا الذي جعل من السهل قدمك إلى هنا. أليس كذلك؟ وقد دفعت لك مارغريت مصاريفك.» وانفرزت أظافرها في راحتها وهي تتقول: «إنك جعلتني، بكلامك هذا، أبدو كمرتزقة. ولكن السبب لم يكن هذا فقط.»

رفع جيروم يده يقاطعها قائلاً: «اعفيتني من ذكر البقية.»

وسكط لحظة وقد بانت المرارة في ملامحه، ثم تابع يقول: «كان على أن أعلم أنك مخادعة. فقد كان ثمة تناقضات كثيرة مثل قدرتك على التكلم بالفرنسية، وفشلك في الطباعة على الآلة الكاتبة... كل هذا كان ينبغي أن يدلني على أنك لست الفتاة التي أدعى».»

وأشار بملل إلى الفراش قائلاً: «ولكن، ما الذي جعلك تستمررين بهذا اللعب إلى هذا الحد، أيتها الحمقاء. هل ظننت أنك ستكونين في النهاية راححة؟»

وحنلت ميع رأسها وقد برح بها الألم واليأس، وقالت بصوت لا حياة فيه: «أظن... إنني لم أدرك...». ولم تقل له إن حبهما له أعماما عن كل شيء.

سألها: «وأين هي إذن، شقيقتك الجميلة تلك؟» أجبت: «ليس عندي فكرة». وترددت، ثم سالت: «إنك تعلم، طبعاً، أن كيرين تركت زوجها وأطفالها.»

أجاب: «نعم. لقد أرادت أن ترى ما إذا كان العنف قد يعيد زوجها إلى عقله، وليس لأنها كانت سعيدة بأن تترك صغارها لرحمة مارغوت.»

قالت ميع: «إن مارغوت لم تأخذ الأطفال، وهم الآن في أمان عند مربيتها العجوز، كما أن ستيفن كيرتيس قد ذهب ليبحث عن زوجته. وبهذا، يبدو أن خطتها قد نجحت.»

لاحت على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يقول: «الأمور إذن ابتدأت في التحسن من ذاتها، باستثنائك أنت.»

ردت عليه بحدة: «أرجوك أن لا تشغل بالك بأمري، ففي إمكاني العناية بنفسي.» قال بنفاذ صبر: «لا تتكلمي كالحمقى. فليس في إمكاننا

ترك الأمور كما هي. ما زال هناك الكثير للحديث عنه...» قالت: «على العكس، فقد تحدثت بما فيه الكفاية. وأيضاً فعلت ما فيه الكفاية.» ونطقـت كلماتها الأخيرة بالمرارة البالغة.

مشـت نحو منضدة الزينة وفتحـت درجـها، وعندما عادـت كانت العـلبة المـحملـية الـتي تحـوي الدـبوسـ الحـلـيـة فـي يـدـها وـهـيـ تـقولـ: «هـذـاـ هوـ العـلـبـةـ الـوحـيدـ الـذـيـ لمـ يـنـتـهـ بـيـنـنـاـ».ـ وـأـلـقـتـ بـالـعـلـبـةـ إـلـيـهـ وـهـيـ تـنـاطـعـ: «ـوـهـذـاـ هوـ نـهـاـيـةـ كـلـ شـيـءـ».ـ فـاـخـرـجـ مـنـ هـنـاـ».ـ

غـصـتـ بـرـيقـهاـ وـهـيـ تـغـالـبـ دـمـوعـهاـ،ـ ثـمـ اـسـطـرـتـ: «ـعـدـ إلىـ حـيـثـ تـنـتـقـمـ،ـ يـاـ سـيـدـ مـونـتـكـورـتـ.ـ»

فـاقـتـرـبـ خـطـوـةـ مـنـهـاـ وـهـوـ يـقـولـ: «ـمـارـغـريـتـ.ـ»ـ وـلـكـنـهاـ لـمـ تـنـتـرـاجـ وـمـضـتـ تـقـولـ صـارـخـةـ: «ـهـيـاـ إـذـهـبـ،ـ وـدـعـنـيـ بـسـلامـ.ـ»

فـاطـلـقـ ضـحـكـةـ كـلـسـعـةـ السـوـطـ وـهـوـ يـقـولـ: «ـبـسـلامـ؟ـ تـبـأـلـكـ،ـ أـيـ سـلـامـ سـيـتـمـنـعـ بـهـ أـيـ مـنـاـ بـعـدـ الـآنـ؟ـ»ـ وـنـظـرـتـ إـلـيـهـ وـهـوـ يـسـيرـ نـحـوـ الـبـابـ بـخـطـوـاتـهـ الـوـاسـعـةـ الرـشـيقـةـ،ـ لـيـخـرـجـ مـنـ حـيـاتـهـ إـلـىـ الأـبـدـ.ـ

وـعـادـتـ تـقـولـ لـلـغـرـفـةـ الـفـارـغـةـ: «ـوـهـذـهـ هـيـ نـهـاـيـةـ كـلـ شـيـءـ.ـ»ـ وـانـخـرـطـتـ فـيـ الـبـكـاءـ.

عـلـيـهـاـ أـنـ تـبـتـعـدـ مـنـ هـنـاـ.ـ كـانـتـ هـذـهـ هـيـ الـفـكـرـةـ الـتـيـ سـيـطـرـتـ عـلـىـ ذـهـنـهـاـ وـهـيـ تـقـومـ بـعـمـلـهـاـ الصـبـاحـيـ الـمـعـتـادـ،ـ

مـنـ اـسـتـحـمامـ وـارـتـداءـ الـمـلـابـسـ،ـ بـحـركـاتـ آـلـيـةـ.ـ لـاـ يـمـكـنـهـاـ الـبـقاءـ وـالـتـعرـضـ لـلـعـذـابـ بـرـؤـيـةـ جـيـرومـ كـلـ يـوـمـ وـهـيـ تـعـلـمـ أـنـ يـحـقـرـهـاـ،ـ بـيـنـمـاـ تـنـذـرـ كـيـفـ أـنـ تـلـكـ السـعـادـةـ

التي وجدتها بين ذراعيه، جعلتها تظن أن كلاً منها ينتمي إلى الآخر، ما كان أغباهما. حسناً، لقد تلقت درساً الآن، وهي على كل حال، سترى السيدة دي بريسو بعد ما ظهر سرّها الآن، وعليها أن تخبرها بالحقيقة قبل أن يفعل ذلك جيروم، ولكن تلك المحنّة كانت مؤجلة إلى حد ما، إذ أن السيدة تناولت، تلك الصباح، فطورها في غرفتها، وكان عليها أن تنتظر خروجها إلى غرفة الجلوس، قبل ذلك. كان لا بد لها من أن تقوم بذلك العمل قبل أن يقوم به جيروم أولاً، وعوضت على شفتها وهي تتصور ردة الفعل عند السيدة عندما تعلم بهذا الخداع الذي تعرضت له.

ولكنها عندما نزلت إلى الطابق الأسفل، أخبرتها فيليبيين أن جيروم ليس هناك، وأنه ذهب في سيارته منذ ساعتين تقريباً.

وأضافت فيليبيين بعنف: «كان يسوق سيارته كالريح..» فدهشت ميع وقلت: «ألم يقل متى سيعود؟» فهزت فيليبيين كتفيها قائلة: «كان يبدو عليه الاستياء، فلم يكن في إمكان أحد أن يوجه إليه أية أسئلة.» ومشت ميع إلى غرفة المكتبة مكرهة، كان عليها أن تسترجع معطفها المنزلي الذي سقط الليلة الماضية هناك عندما حملها بين ذراعيه إلى غرفتها، وذلك قبل أن تدخل الخادمة التي تأتي من القرية لتنظيف البيت، إلى غرفة المكتبة قبلاً. وطوطئه بعنایة، ولم تستسغ فكرة حملها له بشكل مكشوف إلى غرفة نومها، أمام عيني فيليبيين الحادتين.

ونظرت حولها في الغرفة وقد أحست بغضّة وهي تتذكر كل كلمة قالها لها جيروم، الليلة الماضية. لقد اتهمها بأنها

فتنته، وقال (لقد وقعت في الفخ الذي كنت نصبه لك...). وكانت تسمع صدى صوته تعیده الجدران وهو يقول (إنني أحاول أن أحتررك، ولكنني أشعر، في النهاية، أن رغبتي بك تزداد.).

ولكن، لم يكن ثمة فائدة من استخلاص أية بارقة أمل من وراء كلامه ذاك، لأنها، كما أخذت تفكّر، لم تكن تفتش عن الرغبة عند جيروم بل الحب. وهي الآن، في نظره، لا تفرق عن مارغوت، إن لم تكن أسوأ، هذا عدا أنه مرتبط بأمرأة غيرها... إمرأة حاول أن يتّجاهلها، ولكنها، لم تستطع هي ذلك.

وكان أفضل ما يمكنها عمله، هو أن تعود إلى غرفتها لتخرج أمتعتها حتى إذا ما طلبت منها السيدة، الرحيل، تكون هي، على أتم استعداد.

ورأت على المكتب، حافظة الأوراق التي كان قد تركها جيروم الليلة الماضية. وقررت أن تستعيّرها لتضع فيها معطفها المنزلي. وعندما أخرجت الأوراق من الحافظة، لتضعها على المكتب، تناثر بعضها على الأرض وعندما التقطتها، ألفت عليها نظرة عابرة، وكانت تعرفها لأنها كما سبق وقال عنها إنها عروض من الحرفيين... النجارين والبناءين والمختصين. بالتمديّدات الصحيحة. وشهقت ميع بذعر وهي ترى المبالغ التي يطلبونها. وتتساءلت عما إذا كان في إمكان العمّة توفير مثل هذه المبالغ الطائلة.

وبينما كانت تنظم الأوراق في رزمة واحدة، رأت أن نفس عناوين الصفحات تتكرر، فأدركت أن بعض تلك العروضات كانت مكررة. وافتّرضت أن نسخة منها كان من

المفروض أن تسلم إلى السيدة، بينما يحتفظ جيروم بالنسخة الثانية.

ولكنها جمدت في مكانها وهي تضع ورقتين تقدمان نفس العرض، من نفس المعتمد، وذلك الواحدة بجانب الأخرى. وعقدت حاجبيها. كان العمل واحداً في العرضين. المبلغ المطلوب في كل منهما كان مختلفاً عن الآخر. كان الفرق شاسعاً بين الاثنين يبلغ مئات الألوف من الفرنك، وكانت المائة ألف فرنك تساوي ألف جنيه استرليني كما كانت ميع مدرك.

وأخذت تقابل بقية العروض بيدين ترتفغان. وشعرت بما يشبه الغثيان. كان التفاوت بين كل نسختين هو، تقريباً، في البقية.

وتهالكت على كرسي قريب، وهي تفك ثائرة. كلا. لا يمكن هذا، هذا غير معقول.

ورأت الصفحة التي كان يكتبها عندما دخلت عليه، وتذكرت كيف طواها بسرعة مبعداً إياها عن ناظريها وهو يقول: «إن السيدة مارغريت قد نفذ صبرها وترى أن يبدأ العمل تواً».

وفكرت ميع في نفاد الصبر ذاك الذي جعلها تتقبل بكل ثقة، أي رقم يعرضه عليها حفيد الرجل الذي أحببت، ذات يوم، وذلك دون أية مناقشة. عندما تدفع المال لأولئك الصناعيين، يشاركون جيروم بها آخذأ حصتها. دون أن تشتبه السيدة دي بريسو بشيء، لأنه هو جيروم... جيروم.

وشعرت بهذه الحقيقة التي توضحت أمامها تخنقها،

وهي تراه يدينها هي، أخلاقياً، لادعائها ذاك الذي يبدو الآن في غاية البراءة إذ يقابل بعمله هو. ودفعت الأوراق بعيداً عنها باشمئزاز. لقد جرّ على أن يسمعها بالمخادعة. حسناً، لقد كان مخادعاً هو أيضاً. وبشكل مضاعف. لقد كان عمله هذا احتيالاً على سيدة مسنة نصف عمياء. سيدة يدعى هو أنه يحبها ويحترمها.

وتقبضت يداها وهي تتمتم، منافق... لص. يجب أن لا يفلت من العقاب. إنها ستذهب إلى منزله الآن لتواجهه بكل هذا، وكذلك تلك المرأة التي معه، وتهدهه بفضحه لدى السيدة، ولدى الشرطة أيضاً، إن لم يتلف العروضات الزائفة.

وأعادت الأوراق إلى الحافظة، وعادت إلى غرفتها تاركة معطفها على المكتب وهي تفكر عابسة، ان على ذلك المعطف أن ينتظر، وكانت تعبر الردهة قاصدة السلم، عندما اندفع الباب الخارجي مفتورحاً بعنف، لتتدفق أشعة الشمس تغمر الردهة تلك وقد وقف جيروم في وسطها. كان يبدو منشغل البال، وقد بدا التعب والارهاق على وجهه، ورغم كل شيء، قفز قلب ميع لرؤيتها. وزجرت نفسها بازدراء لمشاعرها الحمقاء تلك.

ووقف فجأة، لرؤيتها، ثم قال بهدوء: «كنت أرجو أن أراك. إنني بحاجة للتحدث إليك». قالت: «وأنا أريد ذلك أيضاً. على أن يكون ذلك في مكان لا يسمعنا فيه أحد».

وبدا العبوس على ملامحه وهو يرى حافظة الأوراق في يدها، وقال: «لقد جئت لأخذ هذه، ما الذي تصنعيه بها؟»

أجابت: «دعنا نتحدث عن ذلك على انفراد». ومشت أمامه إلى غرفة الطعام، ثم أغلقت وراءهما الباب الثقيل. ثم أخرجت مجموعتين من الأوراق صفتها جنباً إلى جنب، على الطاولة. ثم قالت: «كم تبلغ حصتك المئوية من هذا، يا سيد مونتكورت؟»

ارتفع حاجباً بعجرفة وهو يقول: «ماذا تقصدين؟» قالت: «إنني أقصد سلب لأموال امرأة مسنة، امرأة تظن أن الشمس والقمر يأخذان نورهما منك، بينما تتلاعب أنت والآخرون بها، بهذه الشكل المشين». وارتفع صوتها بحدة وهي تقول: «ومع ذلك تجرؤ على أن تتحدث معي عن الخداع؟» وتتوتر فمه وهو يقدم نحو المنضدة قائلاً: «هل أريتها هذه العروض؟»

فأجابت وهي تقف بينه وبين الأوراق الثمينة: «كلا». فوقف وقد علت شفتيه بابتسامة ساخرة وهو يرى وقوتها المتحدية، وهو يقول: «شكراً لهذا، على الأقل..» حملقت فيه قائلة: «أهذا كل ما عليك أن تقوله؟» هز رأسه وهو يقول بابتسامة ملتوية: «هل تنتظرين مني أن أقدم بعض الأعذار أدفع بها عن نفسي؟ كلا يا جميلتي، وظني بي ما تشاءين..»

قالت: «وإذا أنا أخذت هذه الأوراق إلى السيدة؟» أجاب: «لا يمكنني منعك من ذلك. ولكنني أرجو أن لا تفعلي، لأن هذا يسبب لي... مشاكل..» اهتز صوتها وهي تقول: «إن ذلك ما تستحقه. إنك تستحق أن تذهب إلى السجن بقية حياتك. لقد وثقت بك

السيدة لأجل جدك. فاستغللت أنت ذلك لتكتسب ثقتكما وعواطفها. إنك إنسان حقير».

شحب وجهه وظهر التوتر على فكه وهو يقول: «هل انتهيت؟»

أجابت: «إنني لم أبدأ بعد. كيف أمكنك القيام بهذا العمل، يا جيروم؟ كيف استطعت أن تعاملها بهذا الشكل؟ إنك لست في حاجة إلى مبال». ومدت إليه يديها بضراعة وهي تتتابع: «دعني أفهم كل هذا؟»

قال بصوت بارد كالثلج: «أظن هذا مستحيلأ. وعلى كل حال، لماذا تريدين أن تعرفي؟» ولم تستطع أنها ترید معرفة ذلك لأنها تحبه ولأن قلبها يناديها، ولأن هذا يخالف كل ما تعرفه عنه. ولأن أحلامها تحطمته وتريد إصلاحها.

وبدلًا من ذلك، حنت رأسها وهي تقول ببطء: «لا يوجد سبب..» قال: «هل لي إذن، أن آخذ اوريقي على أن تخمني عدم تدخلك في هذه القضية بعد الآن؟»

وشعرت بشيء ما يموت في أعماقها، وقالت بفتور: «إنني كما سبق وقلت لي نفس الكلمات، لا أستطيع منعك من أخذها. ولكنني لن التزم الصمت. لقد عاملتني السيدة معاملة غاية في الرقة والطيبة، وأنا لا أريد أن أقابلها بالتجاوز عن محاولة غشها واستغلالها بهذه الشكل..»

قال: «إذهبي إليها، إذن وانظري إذا كانت تصدقك..»

غضت ميع شفتها وهي تقول: «ولكنني لا أريد لها أن تتالم أيضاً. وسيتملكها اليأس كذلك..» وسكتت برهة ثم

قالت: «ولكن هناك بدلاً لذلك..»

نظر إليها ساخراً وهو يقول: «يا للذكاء يا عزيزتي. هل ستخبرينني عن البديل، هذا؟»

قالت: «أريدك أن تنقض يدك من هذا الموضوع. اعتذر بأي شيء للسيدة، ودعها تستخدم مهندساً آخر.»

قال: «وما الذي سيحدث لي أنا؟ هل أختفي هكذا، بكل بساطة، وأعود إلى باريس كما فعل جدي؟» وهز رأسه قائلاً: «كلا. لا أظن أن أوكتافيان سيعيش بعد ردة فعل أخرى.»

قالت: «فكرة في أي شيء. وسيكون من الأفضل، على المدى الطويل، بالنسبة للسيدة، أن تبتعد أنت عن القصر تماماً.»

لوي فمه وهو يقول: «يبدو أنك تدبرت أمر كل شيء. ولكنني لا أظن خطتك هذه ستتفق، لأنني لا أنوي تجنب قصر هاوت أريتياك الآن ولا في المستقبل، ولا أظن أن السيدة تريدينني أن أفعل ذلك.»

قالت: «حتى ولو عرفت حقيقتك؟»
قال: «حاولي أن تخبريه بكل شكوكك. قد تستاء قليلاً، ولكن هذالن يدوم.»

قالت بخشونة: «إن غطروستك لا تحتمل.»
هز كتفيه قائلاً: «إنها تثق بي أكثر مما تتقيين بي أنت، يا جميلتي، وهذا هو كل شيء. ولكننا على كل حال، أصبحنا نفهم بعضنا، أليس كذلك؟»

ومشي نحو الأوراق، فجمعها ووضعها في الحافظة ثم دسها في يدها وهو يقول محنيناً ظهره لها باحترام: «مع حياتي.»

حملقت فيه بدهشة وهي تقول: «هل... هل هذا كل شيء؟»

أجابها وهو يأخذها بين ذراعيه: «بقي هذا.» وكان احتضانه لها طويلاً حاراً وكأنه كان يريد أن يؤثر بها في أعماق نفسها إلى الأبد. ولم تقاوم هي، وعندما تركها، أخذت تنظر إليه وهو يبتعد دون أن يلتقط خلفه.

وعندما أنهت ميع حزم أمتاعها، نزلت إلى الطابق الأسفل حيث كانت السيدة دي بريسو واقفة في الشرفة المؤدية إلى الحديقة. وسألتها: «هل كانت سيارة جيروم التي سمعت صوتها منذ فترة؟»

أجبت ميع مكرهة وهي تشعر بالتعاسة: «نعم.» ربما كانت هي قد تحررت من أي وهم تجاهه، كما سبق وقال هو، ولكن كيف يمكنها أن تخبر هذه المرأة، التي تحبه كابن لها، بأنه لا يفرق كثيراً عن اللص؟
وجلست على كرسي بقربها، ووضعت حافظة الأوراق التي تحتوي الادانة على منضدة بينهما.

قالت السيدة: «لا بد أنه كان مستعجلأً، وأظنه أحضر إليك أوراقاً أخرى للطباعة.» وضحكـت برقـة وهي تتبعـ قالـة: «إـنه مـستـعـجـلـ عـلـىـ الـبـدـءـ بـهـذـاـ عـمـلـ أـكـثـرـ مـنـيـ.ـ وـلـكـنـ هـذـاـ مـفـهـومـ.ـ»

قالت ميع بحذر في محاولة للابتداء بالموضوع: «إنها ليست أوراق للطباعة، بل بعض العروضات من معهدـيـ الـاصـلاحـاتـ.ـ وـقـدـ فـكـرـتـ فـيـ أـنـكـ رـبـماـ تـحـبـيـ أـنـ تـرـيـهـاـ.ـ»

أجابـتـ السـيدـةـ بـدـهـشـةـ:ـ «ـحـسـنـاـ.ـ إـنـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ تـسـتـدـعـيـ كـثـيرـاـ مـنـ التـفـكـيرـ وـالـتـأـمـلـ.ـ وـلـكـنـ جـيـرـوـمـ سـبـقـ وـبـحـثـهـ مـعـيـ.ـ»

ابتسمت مستطردة: «لقد أحضر لي صينية الفطور هذا الصباح، إنه يفعل هذا غالباً عندما يمضي الليل هنا، ثم ابتدأ يقرأ هذه الأرقام بعد ذلك..»

وازدردت ميغ ريقها قائلة: «هل فعل ذلك؟ ولكنه تركها معه. لقد ظننت...» وسكتت برهة، ثم اندفعت تقول: «هل كانت الأرقام مرضية بالنسبة لك؟»

قالت السيدة: «إنها أفضل كثيراً مما كنت أرجو..» ودست يدها في حقيبتها المعلقة في ذراع كرسيها، وأخرجت ورقة مطوية دفعتها إلى ميغ قائلة: «انظري بنفسك، يا صغيرتي..»

ونظرت ميغ. وكانت الأرقام المدونة بخط جيروم الذي لا يمكن أن تخطئ العين، هي الأرقام القليلة.

وسالت بتردد: «هل أنت متأكدة من أنها أرقام صحيحة؟» أجابت السيدة: «نعم. نعم. وقد كان مستعداً لأن يريني النسخ الأصلية ولكنني توسلت إليه بأن يعفعني من ذلك..» واستندت إلى وسادتها خلفها راضية وهي تقول: «عندما أنتهي من دفع نصيبي من تكاليف التصليح، عند ذلك سأرتاح تماماً..»

سألتها ميغ بذهول: «حستك؟ إنني غير فاهمة تماماً. اتعنين أنك لا تدفعين تكاليف الاصلاحات هذه كلها؟» وتوقفت عن الكلام قائلة: «إنني آسفة إذ أوجه إليك هذه الأسئلة التي لا تعنني..»

هزت السيدة كتفيها قائلة: «إن هذا لا يهم. فهو ليس سراً في الحقيقة. وأنت تقريباً، عضو في الأسرة على كل حال. إنني أدفع حصة من التكاليف، يا طفلتى، مع أن جيروم لم

ي肯 يريدى أن أدفع شيئاً أبداً. ولكننى أصررت. لقد جعلت ذلك، في الحقيقة، شرطاً لاتمام البيع..»

قالت ميغ ورأسها يدور: «البيع؟

أومأت السيدة برأسها قائلة: «نعم البيع، وستوقع الأوراق نهائياً آخر هذا الأسبوع. وبهذا سيصبح قصر هاوت ارينبيك. ملكاً لجيروم..» وابتسمت وهي تتبع: «وبهذا يتحقق أول أحلامي..»

وباللتها ميغ الابتسام بضعف، بالنسبة إليها هي، لم تكن ثمة أحلام، بل كابوس حقيقي... وبالألوان الطبيعية.

لقد تسرعت حقاً، في توجيه كل أنواع الاتهامات إلى جيروم زيفاً وبهتاناً. ونعته بأشنع الأوصاف مما لا يغفر، بينما هو لم يكلف نفسه عناء الدفاع عن نفسه. وكان يمكنه ذلك بسهولة وإفهامها الأمور، ولكنه لم يهتم بذلك بما فيه الكفاية، وذلك لأنه لم يكن يهتم برأيها به، وهذه هي الحقيقة المحزنة. لم يكن حبها أو كراهيتها لجيروم تعنى له شيئاً، وتصرفه هذا هو أكبر برهان على ذلك. وغمرتها تعasse لا نهاية لها.

ومالت السيدة إلى الأمام تربت على يدها قائلة: «ومازالت لدى أمال أخرى..»

قالت ميغ وهي تنظر إلى يديها المتشابكتين: «أخشى أن تنتهي أمالك تلك بالخيبة..»

فزمت السيدة شفتها امتعاضاً وهي تقول: «لقد لاحظت أن العزيز جيروم كان مشغول البال هذا الصباح. أرجو أن لا تكوننا قد تشايرتـما.. هل تقـادت الدبوس هذا الصباح؟»

ألقت ميغ نظرة على قميـهاقطنـي البسيط وهي تقول:

«إنه لا يتناسب مع ثيابي البسيطة هذه». وسكتت برهة متربدة، ثم قالت: «سيدتي العمة، هناك شيء يجب أن تعرفيه».

قالت السيدة: «وما هو يا عزيزتي؟»

وأخذت ميغ نفسها عميقاً، مهدئة بذلك أعصابها، ولكنها قبل أن تبدأ بالكلام، تصاعد صوت خطوات فيليبيين قادمة نحوهما وهي تقول: «غفوا يا سيدتي، ويا أنسستي». ومضت تنقل نظراتها بين المرأتين متربدة وقد بان الجد على وجهها بشكل غير عادي، ل تستطرد قائلة: «ولكن، هناك زائرة».

قالت السيدة: «إنني لا أتوقع زواراً». وسكتت لحظة، ثم عادت تقول: «أليس لتلك الزائرة إسم؟»

قالت فيليبيين وقد بان القلق على ملامحها ومالت عيناهما نحو ميغ في ارتباك واضح. قالت: «نعم يا سيدتي إنها تقول... تقول إن اسمها الآنسة ترانانت. الآنسة مارغوت ترانانت».

сад صمت لا حد لعمقه، وتضرج وجه ميغ إلى منابت شعرها وهي تحاول، مستحبة أن تفكر في شيء تقوله، ولكن تعاستها المفاجئة عطلت ذهنها عن التفكير. وأخيراً، قالت السيدة: «إن هذا شيء مثير. دعيعها تدخل يا فيليبيين واحضرى القهوة بعد ذلك..».

وعندما ذهبت هذه ممثلة، قالت ميغ بسرعة: «دعيني أوضح لك يا سيدتي...»

قالت السيدة وهي تسوي من نظارتها القاتمة وتدبر وجهها نحو الباب: «في ما بعد، يا طفلتي..».

وبعد ذلك بلحظة، برزت مارغوت محاطة بهالة مسرحية كانت تبدو فاتنة واثقة بنفسها بشكل لا يصدق، وهي تقف في بنطالها الضيق وقميصها الحريري، وحزام من الجلد برونزي اللون يحيط بخصرها النحيل ويماشه في اللون حذاؤها وحقيقة المعلقة في كتفها.

وتقدمت مارغوت برشاقة نحو السيدة ووضعت قبلة على وجنتها اليسرى وهي تقول: «أوه، ما أروع هذا، هل تخليت عنِّي تماماً؟» ونظرت حولها وهي تتنفس الهواء بنشوة، ثم تتبع قائلة: «بورك الهواء النقى، كيف لأحد أن يفضل سكن المدن؟» ووقعت ناظرها على ميغ التي كانت متجمدة في مكانها، فقالت: «مرحباً، يا ميغ». وركعت على ركبة واحدة قرب كرسي السيدة وهي تستطرد قائلة: «أرجو

أنك لم تمانعي في أن تأخذ ميع مكاني لعدة أيام، كان مما يبعث على الضيق الشديد أن تأخر طلب إجازتي التي قدمتها لكي أحضر إلى هنا. وأرجو أن تكون هي قد أوضحت لك الأمر تماماً.

قالت السيدة: «هل كان الأمر كذلك؟ لقد فهمت».

قالت مارغوت: «أتعنيين أنها لم تخبرك؟» ونظرت إلى أختها تتصرّن الذهول وهي تخاطبها قائلاً: «إنك فظيعة، يا عزيزتي. ما الذي جعلك تنسين ذلك؟ وعلى كل حال، ليس هذا بذوي أهمية، فانا هنا الآن». وعادت تدير نظرها في ما حولها.

قالت السيدة بصوت بارد كالثلج: «من هي إذن، بالضبط تلك الفتاة الثانية التي كان لي سرور استضافتها؟» وفقت ميع لقول بهدوء: «إنني مارغريت لانغريي يا سيدتي. الأخت غير الشقيقة لمارغوت».

قالت مارغوت: «إن ميع عاطلة عن العمل، ففكّرت في أنه قد ينفعهاقضاء فترة في فرنسا. ولكنها أفسدت هذه الفرصة في الاستغراب بتتبع أخبار الكاثار المندثرين وما أشبه. أليس كذلك يا حلوتي؟» وعادت تستدير نحو السيدة مستطردة: «إن آخر عمل اتخذته ميع كان في مكتبة قديمة. وهكذا غرقت في بقايا التاريخ المندثر».

قالت السيدة بجفاء: «ربما هذا ما جعلها تتلاعّم مع هذا المكان».

قالت مارغوت: «حسناً، إنني مسرورة إذ كانت ذات فائدة». وخفضت من صوتها لتقول بلهجة ذات معنى: «أتعلمين أنها، في البداية، قد رفضت القدوم إلى هنا؟»

قالت السيدة: «إنك تحيريني... آه، ها هي ذي القهوة قد أحضرت. ربما بامكانك يا ميع، هل هذا اسمك؟ ربما بامكانك ان تقومي باخر واجب، كمرافقة لي، وتسكبي لنا القهوة. هل لك بذلك؟»

وصعقت ميع في البداية، ليستبد بها الغضب، بعد لحظة موشكة ان تسكب القهوة كلها من الابريق على رأس مارغوت ذي الشعر الأشقر المصفف بغاية الأناقة. ولكنها عادت تطيع بصمت، لقد تعمّدت أختها أن تجعلها تبدو بمظهر القريبة البالغة الفقر. وهذا ما جعلها هي تشعر بثورة بالغة، خاصة بجعل مسألة انتحالها الشخصيتها، تبدو وكأنها فكرتها هي، وليس فكرة أختها.

وسحبت مارغوت كرسيها إلى جانب السيدة، وابتداّت تشرّر بمرح وطلقة، وبدت بمظهر حسن بالنسبة إلى امرأة قد تخلى عنها حبيبها منذ فترة قصيرة، ولكن ميع لاحظت نظرة ساحمة في عينيها الزرقاوين وخطوطاً ناتجة عن التوتر والقلق، حول فمهما.

قد يكون الغيظ لهجران ستيفن كيرتيس لها، قد تملّكتها، ولكن قلبها لم يتحطم أبداً، كما بدا الميع، لقد ألمتها الهزيمة ولكنها استعادت نفسها بسرعة لكي تتسلق طريقها إلى القمة مرة أخرى، ومن وجهاً نظرها، فإن ستيفن كيرتيس هو الخاس.

وارتشفت ميع قهوتها رغم الغصة في حلتها، يبدو أنها هي أيضاً ستكون خاسرة. فقد سبقتها مارغوت إلى رواية قصتها بمنتهى الحدق، ولم يعد ثمة طريقة، الآن تجعلها تشرح للسيدة السبب الذي جعلها تقوم بهذا الدور المخادع، أو تقدم أي اعتذار عنه.

وعندها سكتت مارغوت عن الكلام، قالت ميغ مخاطبة السيدة: «أسالك المعدرة في تجهيز أمتعتي للرحيل.» وترددت قليلاً، ثمتابعت: «وعلى كل حال، ليس ثمة سبب لبقاءي هنا بعد الآن.» وكانت الكلمات تبدو، وهي تتنطق بها، وكأنها تنزع منها انتزاعاً.

أجبت السيدة بلهجة شاردة: «هذا صحيح. يوجد مكتب لسيارات الأجرة في قرية أرينياك فاطلبي من فيليبيين أن تتصل بهم لإرسال سيارة لك. هل يناسبك أن يكون ذلك بعد نصف ساعة؟»

أومأت ميغ برأسها بشكل متواتر قائلة: «شكراً.»

تركت الشرفة رافعة الرأس وهي تشعر بعيني مارغوت تتبعانها. ولكن ساقيها كانتا تهتزان، ولكن ما الذي كانت تتوقعه في هذه الظروف؟ لقد كان من الواضح ان السيدة دي برييسو في غاية الاستياء، ومن يلومها على هذا؟

وأبلغت فيليبيين التي كادت تتفجر فضولاً، أبلغتها أوامر السيدة في أن تطلب لها سيارة أجرة، ثم أحضرت معطفها المنزلي من غرفة المكتبة لتصعد بعد ذلك، إلى غرفتها.

كانت تظن أنها ستكون مسروقة لعدم قضائهما ليلة أخرى هنا، وحولت ناظريها عن السرير العريض الحافل بالذكريات المؤلمة، إذ عادت إلى ذاكرتها ليلة أمس لكنها مالبثت أن طردت تلك التصورات من ذهنها وهي تتاؤه بحزن بالغ. محدثة نفسها بأن عليها أن تركز اهتمامها على الأشياء العملية، وثمة الكثير منها. وقررت، بعد أن أحضرت ما بقي عندها من النقود، أن من الأفضلأخذ سيارة أجرة إلى مدينة آلبى، ثم تستقل المواصلات العامة إلى تولوز

حيث المطار. إذ ما زال عندها نصف التذكرة المرتجعة، والمفترض أن تقدم تاريخها المدون بعد حوالي الشهر، حتى ولو ذهبت واقفة في الطائرة.

ووضعت التذكرة وجواز السفر في حقيبتها، وهي تتنهد.

جاءها صوت مارغوت التي كانت واقفة عند الباب يقول:

«تأكدي من أنك لم تنس شيئاً.»

خطت إلى داخل الغرفة وهي تنظر حولها مغضنة أنفها باشمئزاز وهي تستطرد قائلة: «هل هذه هي غرفة الضيوف؟ إذن، كيف تبدو بقية الغرف. على كل حال، ليس للشحاذين حق الاختيار وهذا مكان يصلح للاختباء إلى أن تنتهي العاصفة.» ونظرت إلى ميغ وهي تتتابع: «أظلك سمعت عن الصعوبات البسيطة التي صادفتني؟»

أجبت ميغ: «نعم. ولكنني لم أتوقع أنك ستأتيين إلى هنا، نتيجة لذلك.»

هزت مارغوت كتفيها قائلة: «وإلى أين أذهب إذن؟ أتعلمين ان تلك الساقفة قد ألقت علينا بأولادها الفظيعين؟ وهي تتحدث عن الانتقام؟»

قالت ميغ: «ولكن مربيتي هي التي تحملت كل هذا العباء.» وسكتت لحظة ثمتابعت تقول: «وبهذه المناسبة، ماذا جرى لاتفاقنا ذاك بالنسبة إلى الكوخ؟»

تناءبت مارغوت ثم قالت: «تبأ لك، كم أنت مملة أحياناً. دعي ذلك ينتظر، من ذا الذي يهتم بذلك الآن؟»

أجبت ميغ بخشونة: «أنا أهتم بذلك. إنني في الواقع، مهتمة بأشياء كثيرة. بعمتك مثلاً، وأيضاً بهذا المنزل.»

زمت مارغوت فمها عابسة وهي تجيب: «إنهما، هما الاثنين في طريق الفناء، كما أرى. كنت أظن ان المرأة العجوز تملك مالاً».

وفكرت ميغ عابسة بأن المرأة العجوز ستحصل، قريباً على المال، وأن مارغوت، قد جاءت في الوقت المناسب تماماً.

قالت: «ومع هذا، فقد شعرت كأنه منزل عشت فيه مدة طويلة».

قالت مارغوت بحده: «لا تكوني سخيفة، فأنت جئت إلى هنا لتوّك».

قالت ميغ: «لكي تكتشفي مكان انتمائك، لا يأخذ ذلك دائماً وقتاً طويلاً».

قرعت فيليبيين الباب قائلاً: «لقد وصلت سيارة الأجرة يا آنسة. والسيدة تنتظرك لتودعك في الصالة».

قالت مارغوت: «إذن، فأنا أتركك الآن لأنقي نظرة على هذه الأنحاء». وهزت كتفها وهي تقول: «ماذا تراهم يفعلون هنا بالنسبة لحياة الليل، وبالهم».

وأنزلت ميغ حقيبتها إلى الردهة في الطابق الأسفل. حيث كان السائق، وهو رجل قصير القامة متهدل الشاربين، كان ينتظر ليضع الأمتعة في صندوق السيارة، ثم مشت نحو الصالة مكرهة، حيث كانت السيدة واقفة بجانب المدفأة الخامدة، وقد عقدت ذراعيها على صدرها، وبدا وجهها ساهماً بعيداً عن الابتسام. وكان الوضع، كما رأته ميغ وهي تشعر بالتعاسة، كان لا يعدو وضع سيدة منزل تطرد مستخدماً غير مرغوب فيه.

قالت بهدوء: «إنني أريد انأشكرك يا سيدتي لكل ما أبديته نحوي من الإكرام. وإنني آسفة لتضليلي لك بذلك الشكل. وكنت أتمنى لو كنت أخبرتك بالأمر بنفسي».

أجبت السيدة: «لا أظن المسألة تستحق كل هذا». كان هذا كلام سيدة عظيمة. ومدت يدها قائلة: «أتمنى لك رحلة موفقة، يا آنسة لانفتري».

قبضت ميغ على أصابعها وهي تقتنش، عبثاً، عن شيء من اللين في ملامح السيدة المسنة. وقالت: «إنني... إنني لم أحافظ بالدبوس الخلية الذي أهديتني إياه. فقد ردته إلى السيد مونتكورت. وأرجو أن لا يكون عندك مانع في ذلك».

أومات السيدة قائلة: «ربما كان هذا أفضل تصرف بشأنه». وتركت يد ميغ واستدارت مبتعدة منهية الموقف. وتمضت ميغ شيئاً وهي تخرج من الغرفة. وكانت فيليبيين تنتظر عند الباب الخارجي، لتجد ميغ نفسها مغمورة بعناقها الحر.

قالت فيليبيين: «لا تدعني الحزن يبدو عليك هكذا، أيتها الصغيرة. إن كل شيء يصلح مع الوقت». وأخرجت من جيب متزرها مغلقاً سميكاً وهي تقول: «لقد طلبت مني السيدة أن أعطيك هذا».

قالت ميغ: «أظن ربما كان ثمة خطأ، وهذا ليس لي أنا». أجبت المرأة وهي تهز رأسها بعنف، وتدس الطرد في يد ميغ: «كلا، كلا، إنه لك. يجب ان تأخذيه، إلى اللقاء». وعندما ابتعدت بها السيارة، لم تنظر إلى الخلف. ولم تستطع تصديق السرعة التي حدث بها كل هذا. ولكن، هكذا

حدثت الأشياءمنذ وصولها إلى هذه المنطقة... سلسلة من التغييرات المفاجئة. من الشمس إلى العاصفة، من الحب المحموم، إلى الكراهية المحمومة. وبعد، إنها لا تستطيع الادعاء بأنها لم تتلق تحذيراً، قبل حضورها من مخدومها العجوز ذاك.

واستقرت في مقعدها، ثم أخذت تنظر إلى المغلف الذي ما زال في يدها، راجية ألا يكون نقوداً وإلا فسيكون في ذلك نهايتها المخزية... والتي هي أسوأ من ظهورها بشكل لا أخلاقي.

ومررت الغلاف، لتنظر إلى ما يحتويه غير مصدقة لقد كان كتاب الشعر ذاك. وفتحته عند الصفحة البيضاء التي تلي الغلاف لقرأ، مرة أخرى، الكتابة الباهتة. (إلى مارغريت. من كل قلبي. ج). وتساءلت ذاهلة، كيف أمكن للسيدة أن تتخلى عن هذا الكتاب. وكيف يمكنها هي أيضاً، أن تحتمل الاحتفاظ به؟

وابتدأت تقلب الصفحات، ليفتح الكتاب من ذاته، على صفحة معينة وكأنه اعتاد أن يبقى مفتوحاً عليها. وتألقت الكلمات أمام عينيها مرة أخرى (حبي الوحيد، حبيبتي التي تسعدني) وتابعت القراءة قبل أن تغشى دموعها الكلمات (حبيبتي الحلوة، ينبعو البهجة كلها هي).

ربما كانت السيدة تعلم أن هذه الكلمات هي كل ما عليها هي أيضاً ان تتنكر، وتأكدت من أنها هي الكلمات المطلوبة. إنها ليست أغاني الأوباد طبعاً. ولكن، كيف يمكن أن يكون ثمة سواها؟

وجفلت إذ أخرجها من شرودها صوت بوق السيارة

يزعق فجأة، ثم تمتمه سباب من السائق: «هؤلاء الحمقى المجانين. ما الذي يظن أنه يصنع؟» ونظرت ميعن لترى سيارة تقفل عليهما الطريق تماماً، لا بد أن هناك حادث ما. انفجار عجلة مثلاً جعل السيارة تستدير بهذا الشكل. وتمنت أن لا يكون أحد قد تضرر.

وعند ذلك، ميّزت السيارة، فأغلقت الكتاب بيشه، وهي ترى راحتها تعرقان، وتكوّنت إلى الخلف في مقعدها وكانتها تحاول أن تندس متلاشية في داخل ذلك المقعد المهترئ تنجدده.

فتح باب السيارة بعنف وصوت جيروم يقول بلهجة عادية، وسط سباب من السائق: «ها إننا نعود إلى الصفر. عودي إلى حيث ابتدأنا، يا جميلتي، هيا اخرجي قبل أن تتعرقل حركة السير».

حملقت ميعن فيه قائلة: «أبدأ لن أفعل مثل هذا». رفع حاجبيه يسألها: «هل تحبين أن أحملك مرة أخرى؟» وتحول إلى السائق الساخط وخطبه بكلمات هادئة لم تفهم ميعنها، ثم ناوله بعض الأوراق المالية. ورأت ميعن، وهي تنزل من السيارة، حقيبتها يخرجها السائق من صندوق السيارة.

ضربت قدمها في الأرض تساءل ساخطة: «ما الذي تفعله؟ دع الأمتعة مكانها».

هز السائق كتفيه، ان عليها ان تفهم أنه، بعد هذا العطاء السخي، أن السيد حر في أن يقفل الطريق، وأن يختطف منه ركابه وذلك إلى ان ينشف البحر. ونظر إلى جيروم يغمزه راضياً، قبل ان يحوّل اتجاه سيارته مبتعداً.

وتقبضت يدا ميغ وهي تقول بحده: «ما الذي تخن نفسك تفعله؟»

أجاب وهو يلقي بأمتعتها في صندوق السيارة ثم يصافق الباب: «أخذك إلى البيت».

قالت وهي تتساءل عما إذا كان عمله هذا مبالغة منه في إكرامها عند الوداع: «إلى إنكلترا؟»

أجاب: «بل إلى منزلي أنا، هذا إذا كنت قد ابتدأت تعتبرين منزلي منزلاً لك. ذلك ان القصر، بالطبع سيبقى منزل السيدة مارغريت طيلة حياتها». ونظر إليها بتلك الابتسامة المديدة التي تجعل قلبها يخفق عالياً، وهو يتبع: «حسناً، هل يمكنك ان تمضي حياتك معي في مسكنى الغونكور؟»

كانت أشعة الشمس الذهبية، دافئة، والحساب على جانبي الطريق، والنسائم تحرك أغصان الأشجار لتنشر معها رائحة الثمار الناضجة.

قالت: «كلا». وأردفت بضعف: «إن هذا جنون». فتح لها باب السيارة فصعدت إليها بعد إذ لم يعدلها خيار بعد ما ذهبت سيارة الأجرة. وربما، بعد ان يعود إلى جيرروم وعيه، ربما يوصلها إلى مدينة آليبي كما كانت قررت.

وسألته قائلة: «كيف صدف ان كنت هنا؟»

أجاب: «لقد اتصلت السيدة مارغريت بمسكني وأخبرتني انك راحلة، وبموعد وصول سيارة الأجرة إليك. وتكلمت بأنه سيخضرك من هذا الطريق. وإلا فقد كنت مستعداً لمحاصرة المطار في تولوز..»

قالت: «هل قلت ان السيدة أخبرتك؟ ولكن هذا غير ممكن إذ أنها طردتني طرداً..»

قال بهدوء: «إنها فكرت بأن من الأفضل لك ان تكوني معى، إلى ان تجد الوقت الكافي لتفرغ من شأن مارغوت». وابتسم لها، وهو يتبع: «إنك لست الوحيدة التي في استطاعتها القيام بدور تمثيلي، يا جميلتي». سكتت لحظة، ثم قالت بصوت منخفض: «لقد عرفت بمسألة تلك العروض وحقيقةها».

فقال: «أرجو ان لا تكوني قد أشركت السيدة في هذه المعرفة، إذ ان لها كرامتها. فهي ستظن انني أقدم إليها إحساناً».

قالت: «ولكن هذا ليس إحساناً، إذ انه لو ان الأمور كانت قد سارت كما يجب، وتزوجت من جدك، لكانـت قد حصلت على سعادتها وراحتها على الدوام. وأنت الآن، فقط... تصلح ما فسد..»

قال برقـة: «إنك متـفهمـة إذن للأمور. لقد كنت مـتأكدـاً من ذلك فيك..»

فغضـت شفـتها قـائلـة: «ولـكنـ ماـ كانـ لكـ انـ تـعـرـفـ ذلكـ،ـ خـصـوصـاًـ بـعـدـ ماـ أـسـاتـ الحـكمـ عـلـيـكـ وـأـظـلـقـتـ عـلـيـكـ نـعـوتـاًـ شـائـنةـ..ـ»

قال: «ربـماـ كـنـتـ أـسـتحقـ ذـلـكـ لـإـسـاعـتـيـ الحـكـمـ عـلـيـكـ وـإـطـلاقـ نـعـوتـ شـائـنةـ عـلـيـكـ أـيـضاًـ..ـ»

قالـتـ: «ـولـكـنـنـيـ أـنـاـ اـدـعـيـتـ اـنـنـيـ مـارـغـوتـ وـلـاـ شـيءـ يـمـكـنـ انـ يـغـيـرـ مـنـ هـذـاـ،ـ بـيـنـمـاـ ذـنـبـكـ أـنـتـ كـانـ لـاـ يـخـرـجـ عـنـ الرـقـةـ الزـائـدةـ..ـ»

أـوقفـ جـيـرـوـمـ السـيـارـةـ إـلـىـ جـانـبـ الطـرـيقـ،ـ ثـمـ قـالـ بـلـطفـ:ـ «ـولـكـنـنـيـ لـمـ أـكـنـ رـقـيـقاـ مـعـكـ،ـ لـقـدـ ظـنـنـتـ أـنـ مـنـ السـهـولةـ أـنـ

أكرهك لـما أخطأت بـحق كـيرين الرـقيقة الدـافـئة المشـاعـر
وـالـتي تحـب زـوجـها إـلـى درـجة بالـفـة.» وـهـز كـتفـيه مـتابـعاً:
«ـمـعـ اـنـ لـيـسـ فـيـ اـسـرـتـناـ منـ اـسـطـاعـ انـ يـفـهـمـ السـبـبـ فـيـ ذـلـكـ.
عـنـ ذـلـكـ قـاـبـلـكـ، ليـتـمـلـكـنيـ شـعـورـ لمـ أـعـرـفـهـ مـنـ قـبـلـ، أـدـرـكـ
مـعـهـ أـنـهـ لـيـسـ فـيـ اـمـكـانـيـ أـنـ بـعـدـكـ عـنـ حـيـاتـيـ. وـبـعـدـ ذـلـكـ
رـأـيـتـ اـسـمـكـ عـلـىـ أـمـتـعـتـكـ.» وـهـزـ رـأـسـهـ مـتابـعاً: «ـأـظـنـهـاـ كـانـتـ
أـسـوـأـ لـحـظـةـ فـيـ حـيـاتـيـ، حـيـنـ رـأـيـتـ اـنـتـيـ اـنـجـذـبـتـ إـلـىـ فـتـاةـ
فـاسـدـةـ كـانـتـ تـحـاـولـ اـنـ تـمـرـ حـيـاتـ اـبـنـةـ عـمـيـ. وـصـمـمـتـ عـلـىـ
اـنـ أـبـقـىـ بـارـدـ المشـاعـرـ وـأـنـاـ أـلـاحـقـ، وـلـكـنـ فـيـ كـلـ لـحـظـةـ كـنـتـ
أـقـتـرـبـ فـيـهاـ مـنـكـ، كـانـتـ مشـاعـرـيـ تـقـمـزـ، فـمـنـ نـاحـيـةـ كـنـتـ
أـرـيدـ اـنـتـقـمـ مـنـكـ دـوـنـ رـحـمـةـ، وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ، كـنـتـ أـرـىـ
اـنـ أـبـقـيـكـ مـعـ طـيـلـةـ حـيـاتـيـ، وـذـلـكـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ.»

قالـتـ بـرـزانـةـ: «ـلـاـ أـرـىـ فـيـ ذـلـكـ أـيـ شـيـءـ خـطاـ.»

ابـتـسـمـ وـهـوـ يـلـامـسـ وـجـنـتهاـ: «ـآـهـ، سـاـنـكـ بـكـلامـكـ هـذـاـ، فـيـ مـاـ بـعـدـ.»
قالـتـ بـصـرـاحـةـ وـنـظـرـاتـهـمـاـ تـعـاـنـقـانـ: «ـأـرـجـوـ ذـلـكـ.»، لـمـ يـعـدـ
شـمـةـ شـيـءـ مـسـتـورـاـ. فـهـوـ يـسـيـطـرـ عـلـىـ أـحـاسـيـسـهـاـ بـأـجـمـعـهـاـ،
نـفـسـيـاـ وـجـسـديـاـ.»

قالـ: «ـوـفـيـ هـذـهـ المـرـةـ، سـأـعـاـمـلـكـ بـالـرـقـةـ التـيـ
تـسـتـحـقـيـنـهاـ. كـانـ عـلـىـ اـنـ أـدـرـكـ مـنـذـ الـبـداـيـةـ اـنـكـ لـسـتـ
مارـغـوتـ.» وـأـمـسـكـ بـيـدـهـاـ يـضـغـطـهـاـ.

قالـتـ مـازـحةـ: «ـهـلـ لـأـنـكـ وـجـدـتـنـيـ طـابـعـةـ فـاشـلـةـ؟ـ»
ضـحـكـ قـائـلاـ: «ـكـلـاـ... وـإـنـمـاـ لـكـلـ شـيـءـ قـلـتـهـ... وـكـلـ شـيـءـ
قـمـتـ بـهـ. وـلـكـنـيـ أـخـرـسـتـ شـكـوـكـيـ وـرـأـيـتـ فـقـطـ الذـيـ أـرـدـتـ أـنـ
أـرـاهـ.» وـلـوـيـ فـمـهـ نـادـمـاـ ثـمـ تـابـعـ قـائـلاـ: «ـوـفـيـ اللـيـلـةـ الـمـاضـيـةـ،
كـانـ يـجـبـ عـلـىـ اـنـ أـدـرـكـ اـنـكـ لـمـ تـرـتـبـطـ بـعـلـاقـةـ مـعـ رـجـلـ مـنـ

قـبـلـ، وـعـنـدـمـاـ تـأـكـدـتـ مـنـ اـنـكـ لـسـتـ مـارـغـوتـ، شـعـرـتـ
بـالـغـضـبـ... غـضـبـ عـلـىـ نـفـسـيـ لـكـونـيـ كـنـتـ أـعـمـيـ وـأـحـمـقـ.
وـعـدـيمـ الـاحـسـاسـ. حـتـىـ اـنـ هـذـاـ الغـضـبـ طـالـكـ أـنـتـ أـيـضاـ.»
وـتـأـوـهـ وـهـوـ يـتـابـعـ: «ـفـيـ تـلـكـ اللـحـظـةـ التـيـ كـانـ عـلـيـنـاـ فـيـهاـ أـنـ
نـتـعـلـمـ الـحـبـ، أـخـذـنـاـ نـتـبـاـدـلـ الصـراـخـ.» وـنـظـرـ إـلـيـهـاـ بـالـمـ وـهـ
يـسـأـلـهـ: «ـأـمـاـ كـانـ عـلـيـكـ اـنـ تـولـيـنـيـ ثـقـكـ وـتـخـبـرـيـنـيـ
بـالـحـقـيقـةـ قـبـلـ ذـلـكـ، يـاـ مـارـغـريـتـ؟ـ»

تـنـفـسـتـ بـعـمـقـ قـائـلـةـ: «ـلـقـدـ أـرـدـتـ ذـلـكـ كـثـيـرـاـ. وـلـكـنـ الـأـمـرـ لـمـ
يـكـنـ يـخـصـنـيـ وـحـدـيـ، ذـلـكـ اـنـ مـارـغـوتـ قـدـ حـمـلـتـنـيـ عـلـىـ
الـحـضـورـ رـغـمـاـ عـنـيـ وـذـلـكـ بـتـهـدـيـدـيـ بـبـيـعـ كـوـخـ مـرـبـيـتـيـ
الـعـجـوزـ وـوـضـعـهـاـ فـيـ الـمـلـجـأـ، إـذـاـ أـنـاـ لـمـ أـوـافـقـ.» وـسـكـتـ
بـرـهـةـ، ثـمـ قـالـتـ عـابـسـةـ: «ـفـيـ الـحـقـيقـةـ، رـبـماـ هـذـاـ سـيـحـدـثـ
اـلـآنـ، فـأـنـاـ لـاـ أـثـقـ بـمـارـغـوتـ وـلـاـ بـأـمـهـاـ بـالـنـسـبـةـ لـهـذـاـ الـأـمـرـ.»

سـأـلـهـ: «ـهـلـ ذـلـكـ الـمـرـبـيـةـ مـسـنـةـ وـاهـنـةـ؟ـ»

أـجـابـتـ: «ـكـلـاـ، أـبـدـاـ. وـإـلـاـ لـمـ كـانـتـ قـادـرـةـ عـلـىـ الـعـنـاـيـةـ
بـأـطـفـالـ اـبـنـةـ عـمـكـ كـيـرـيـنـ الـآنـ.»

قـالـ: «ـوـبـمـاـ كـانـ يـسـرـهـاـ، إـذـنـ، أـنـ تـأـتـيـ إـلـىـ فـرـنـسـاـ لـلـعـنـاـيـةـ
بـأـلـادـنـاـ، عـنـدـمـاـ يـأـتـونـ.»

طـفـرـتـ الدـمـوـعـ مـنـ عـيـنـيـهاـ وـهـيـ تـقـوـلـ: «ـإـنـ هـذـاـ سـيـسـعـدـهـاـ
جـدـاـ... أـوـهـ، جـيـرومـ.»

قـالـ بـرـقةـ: «ـإـنـ هـذـاـ، طـبـعـاـ يـعـتـمـدـ عـلـىـ نـقـطـةـ صـغـيرـةـ، وـهـيـ
إـذـاـ كـنـتـ تـحـبـيـنـيـ كـمـاـ أـحـبـكـ. إـنـكـ لـمـ تـقـولـيـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ بـعـدـ.»

وـرـبـماـ كـانـ الـأـمـرـ مـبـكـرـاـ، بـالـنـسـبـةـ إـلـيـكـ.»

قـالـتـ: «ـكـلـاـ، إـنـهـ لـيـسـ مـبـكـرـاـ أـبـدـاـ، وـمـاـ أـغـرـبـ أـنـكـونـنـحنـ
الـاثـنـيـنـ وـاثـقـيـنـ إـلـىـ هـذـاـ الـحدـ.»

قال: «ليس نحن فقط. فالسيدة كانت واثقة من ذلك منذ البداية. يجب أن أتصل بها هاتفياً حالما نصل إلى البيت لأعلمها أنك معى وفي أمان، ولست بانتظار الطائرة التي تعود بك إلى إنكلترا.»

قطبت حاجبها قائلة: «أرجو ان يسرّها ذلك، فقد كانت في غاية البرود عندما تركتها.»

عبس قليلاً وهو يجيب: «كانت تريدك ان ترحل لأنها أحسست ان حضور مارغوت سيزيد في توترك وتعاستك. فهي لم تكن مسرورة مني هذا الصباح عندما أخبرتها كيف انتي أنسأت التصرف معك من كل النواحي.»

فكرت ميع لحظة ثم قالت: «أتعني أنها كانت تعلم، عندما رأيتها في الصباح، أتنى لست مارغوت؟»

أوما برأسه قائلًا: «لقد قالت كما قلت أنا، أنها كانت دوماً تشعر بذلك، لأن مثل تلك الطفلة المدللة سينتهي الطبع، لا يمكن ان تصبح مثل هذه الفتاة الهديئة الرقيقة.» ونظر إلى ساعة يده وهو يتتابع: «أظن الأنثى مارغوت ترانت لا بد قد غادرت الآن القصر عائدة إلى إنكلترا، ربما أكثر حزناً وحكمة، وإن كنت أشك بذلك. وكذلك ضيوفك سيكونون قد غادروا بيتي هم أيضاً. وأرجو ألا يتقابلوا في الطريق..»

شقت قائلة: «ضيوفك؟ أتعني كيرين؟ إذن فقد كانت هي التي كنت رأيتها...»

قال ضاحكاً: «إن لك نظراً حاداً، إن زوجها معها الآن. لقد اتصلت بمنزلي هاتفياً في أول ليلة كنا فيها معاً أنا وأنت، في منزلي، لتقول إنها قادمة إلى. وقد انضم إليها هو أمس. وقد اتصلوا بي لهذا، هاتفياً أثناء العشاء. وهمـا

الآن قاصدان باريس لقضاء شهر عسلهما الثاني في شقتي هناك.»

فكرت لحظة وعادت تتساءل: «ولكن، كيف علم هو أنها عنده؟»

أجاب قائلًا ببساطة: «لقد دله إحساسه على ذلك، وهذا جعلني وأثقاً من مستقبلهما معاً.» ومذ ذراعه يجذبها إليه قائلًا: «هل تقبلين بأن تكوني زوجتي، يا مارغريت، فتشاركييني العواصف وأأشعة الشمس؟»

أجابت بابتسامة مرتجلة: «نعم. حبي الوحيد... حبيبي الذي يسعدني. وأنت، هل ستريني فجراً آخر من نافذتك الواسعة؟»

قال يجيبها: «كل صباح من حياتنا. والآن، هيا بنا إلى البيت.»

وعندما تحركت بهما السيارة، قالت: «ولكن، هناك مشكلة واحدة، يا جيروم. ما الذي سنفعله بالنسبة إلى أوكتافيان؟ متى تراه سيتوقف عن تسميتى بالإنكليزية؟» ضحك وهو يجيب: «ربما، يا حبيبي، عندما يأتينا أول ولد، فيكون هو بمثابة جده..»
وكان كلامه صحيحاً...

تمت